آيات رسمت طريقي في الحياة

فضيلة الشيخ
سعيد محمد السواح
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



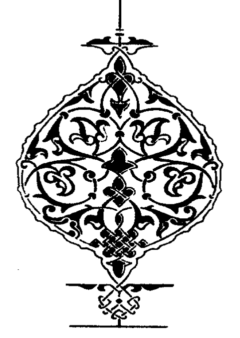




رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٨٦١٤

الترقيم الدولي
977-331-421-9



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠-٠١٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

آياتٌ رسمت طريقي في الحياة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الإيمان، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله أن يَسَّرَ لنا الطاعات.

فالقرآن له منزلة عظيمة في قلوب المسلمين، فله الإجلال والتعظيم؛ فإنه كلام الملك، وكم نحن في حاجة ماسة وشديدة لقراءة القرآن، كما كان النبيُّ ﷺ يقرأه، وكما كان الصحابة ﷺ يقرأونه، فإنهم والله عاشوا مع الآيات ومع مدلولها ومعانيها، وكما قال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله -: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النَّبيِّ ﷺ عشرَ آياتٍ لم يجاوزوها، حتَّى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القُرآن والعلم والعمل جميعًا؛ ولهذا كانوا يمكثون المدة في حفظ السورة، وذلك لأن الله تعالى أمرنا بتدبر القرآن، فقال تعالى: ﴿ **كتابٌ أنزلْناهُ إليْك مُباركٌ لِيدَّبَّرُوا آياته** ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ **أفلا يتدبَّرُونَ الْقُرْآن أمْ علىٰ قُلُوبٍ أقْفالُها (٢٤)** ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ **أفَلَمْ يدَّبَّرُوا الْقوْل** ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وتدبّر الكلام بدون فهم معانيه لا يُمْكن.

وكذلك قال سبحانه: ﴿ **إنَّا أنزلْناهُ قُرْآنًا عربيًّا لَعَلَّكُمْ تعْقلُونَ** ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام متضمن لفهمه، ولقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ الصحابة كيف يعيشون مع الآيات، وكان يوضح لهم مفهوم الآيات، فهذا عليّ بن أبي طالب ﷺ يقول: كُنَّا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلاّ وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**».

فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منّا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان منّا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟.

قال ﷺ: **«أما أهل السعادة، فيُيسّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيسّرون لعمل أهل الشقاء»**، ثم قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠** ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

انظر إلى فهم النبيّ ﷺ للآيات، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن نبيَ الله ﷺ كان يقومُ من الليل حتّى تتفطّر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر اللهُ لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»** فلما كثر لحمه صلّى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

انظر إلى فهم الصحابة رضي الله عنهم لآيات ربهم، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: قال النّبيّ ﷺ: **«خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال لها: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك»**. قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرأوا إن شئتم: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٢٢]. انظر إلى الصحابة رضي الله عنهم وهم يُحكّمون الآيات في تصرفاتهم وأفعالهم، وأن أحدهم إذا تليت عليه الآية ما كان يجاوزها، فلنتعلم كيف نستجيب لآيات الله تعالى.

تقول عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه، فقال: يا رسول الله، إنّ لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا**

عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصّ لهم منك الفضل الذي بقي قبله».

فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)** ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أُشهدك أنهم أحرار كلهم.

انظر إلى الصحابة ﵃ كيف كانوا يعيشون الآيات، وكيف كانوا يحيون مع الآيات، حتى قبل وقوع أحداثها، نرى ذلك من خلال هذا الحدث الجلل الذي اهتزّ له الصّحابة ﵃ ولكن نجد أن أبا بكر الصديق ﵁ استقبل هذا الحدث الذي كاد أن يُحدث فتنة عند بعض الصحابة، وهذا ما كان إلا لأنه عاش هذا الحدث بينه وبين نفسه قبل وقوعه، وكيف كان مَعْلَم هذه الآية في قلبه حتى صدر منه هذا التصرف الرشيد الذي يدل على عمق إيمانه.

تقول عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر ﵁ يقول: والله، ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

فجاء أبو بكر ﵁ فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبّله فقال: بأبي أنت وأمي طبتَ حيًا وميّتًا، والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتتين أبدًا.

ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم جلس عمر ﵁، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قالت: فنشج الناس

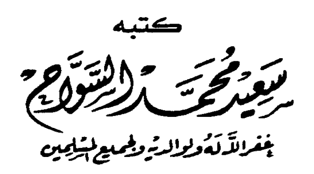
يبكون. فترى أن الصحابة ﷺ كانوا يقرءون الآية ولكن لم يأت تأويلها بعد، ولكن نجد أن أبا بكر كان يعيش الآية قبل وقوعها، وكان قد وطّن نفسه على مثل هذا الحدث.

فكيف يكون القرآن في حياتنا؟

نحتاج أن نعيش القرآن، ونحتاج أن نحيا مع الآيات، وأن تحتل كل آية معلم واضح في القلب، حتى تصدر سلوكياتنا على أساسها، فكان هذا المصنف الذي بين أيدينا، وكما هو مسماه «**آيات رسمت طريقي في الحياة**»، فكيف أُبصر الطريق وكيف أُحدّد معالمه، وكيف أتعرَّف على طبيعة الطريق، وكيف تحتل كل آية معلمها في قلبي، وكيف أرى هذه العلامات بارزة في قلبي؛ لكي تنضبط سلوكياتنا على أساسها، ولكن ينبغي أن نتعلم كيف نقرأ الآيات، وكيف نقف على معالمها، فالأمر لا يحتاج إلى قراءة سريعة، فما أيسر من أن ننتهي من قراءة هذا المصنف في وقت وجيز، فليس هذا الغرض، ولكن فلنقرأ قراءة المتأمل ولا ننتقل من آية إلى أخرى إلاَّ بعد رؤية معلم هذه الآية التي بين أيدينا بصورة واضحة في القلب، ثم ننظر إلى ضبط سلوكياتنا على أساسها، ثم ننتقل بعدها إلى أختها، وندعوه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وندعوه سبحانه اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضلّ، واجعلنا للمتقين إمامًا، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم آمين.

كتبه



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يَهْده اللهُ فهو المهتدي، ومن يُضْلل فلن تجدَ لَهُ وليًا مرشداً.

أما بعد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ثم أمّا بعد:

فالقرآن هو رسالة الله وخطابه إلينا، أنزله الله عَلَى عَبْده وحبيبه محمد ﷺ؛ ليقوم بإبلاغه إلى خلقه، فأتمَّ ﷺ المهمة على خير وجه.

فنحن نشهد لرسول الله ﷺ أنّهُ بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة، وتركنا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك.

فالقرآن كتاب هداية وبيان وإرشاد، أنزله الله تعالى؛ ليرشد العباد إلى سبيل الفلاح والصلاح، ووصف الله تعالى كتابه بذلك وأمرنا سبحانه باتباعه.

قَال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأمرنا سبحانه باتباع ما فيه ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿ المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الأعراف: ١-٣].

فلا سبيل للمسلم إلاّ أن يعتمد كتاب ربه في صياغة حياته وأن يعتمد ما اشتمل عليه القرآن؛ ليسلك سبيل ربه المستقيم الذي يوصله إلى الدار التي يدعونا الله إليها ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾ [يونس: ٢٥].

فهو كتابٌ أنزله الله تعالى للتطبيق والعمل على أساسه، فكان لابد من وقفة مع النفس ووقفة مع كتاب الله تعالى؛ لأنظر أين أنا من كتاب ربي.

ولقد وصف الله كتابه بأوصاف عديدة كل وصف منها ينطبق على كتاب ربنا، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

كيف وصفت الجن القرآن؟

لقد استمعت الجن إلى آيات ربها عندما كان النبيّ ﷺ يقرأ بها في صلاة الصبح؛ فانظر كيف كان وصفهم لكتاب ربهم على الرغم من أنهم لم يستمعوا إلاّ إلى آيات قليلة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

كيف نقرأ القرآن؟

لقد تعلمنا من كتاب ربنا كيف نقرأ القرآن؛ لنراه كما رآته الجن، كتاب يهدي إلى الرشد ويهدي إلى صراط مستقيم.

قَالَ تعَالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]. ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

فعلمنا أن القرآن لا يُقرأ إلاّ بتدبر، وهذا يتطلب يقظة القلب وحضوره، وإزالة هذا الغلف الذي يحجب عن فهم مراد ربه سبحانه.

ثناء الله على من تدبر القرآن وتأثر به:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى مبينًا لنا كيف يستقبل الأولياء كلام ربهم سبحانه: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾ [مريم: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ [الإسراء: ١٠٦- ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

التحذير من عدم تدبر القرآن:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ [محمد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) ﴾ [الكهف: ٥٧].

التحذير من قسوة القلب:

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

كيف أنار لنا القرآن الطريق إلى الجنة؟

لقد وصف لنا القرآن معالم الطريق المستقيم الذي أمرنا الله تعالى أن نسلكه كما وصف لنا الوسائل الموصلة إلى دار السلام التي دعانا الله إليها؛ ولذا بيَّنَ لنا الأدوات المعينة في قطع هذا الطريق والعقبات التي بثت في هذا الطريق، وفوق ذلك وصف لنا المقومات التي ينبغي أن نشتمل عليها؛ لنُأهّل من خلالها لقطع هذا الطريق بأمان وسلام، حتى نصل إلى دار القرار.

فكان لابد من قراءة متأنية ومدققة في كتاب الله مع الوقوف والتأمل في آيات الله؛ لأرسم من خلالها الطريق وأصوغ حياتي على أساسها، فالأمر لا يحتاج إلى مقامرة أو مغامرة، حيث لا استئناف للحياة بعد انقضائها؛ فهذا طريق نسلكه إما أن يوصلنا إلى نعيم سرمدي أو عذاب سرمدي.

فكانت هذه الآيات التي رسمت لي طريقي في الحياة.

سعيد محمد الشواح

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

هذا هو أول مطلب يطلبه العبد من ربه سبحانه، وذلك بترتيب المصحف، فبعد ثناء الإنسان على ربه بما هو أهله، وبعد حمده وإجلاله وإعظامه وتمجيده، وبعد اعتراف العبد وإقراره أنه لا يستحق العبادة إلاّ الرب المعبود سبحانه، وبعد إعلان العبد لضعفه في أن يجلب لنفسه منفعة أو يدفع عنها مضرة، مُعلنًا أنه لا غنى له عن مدد ربه ومعونته.

فكان هذا المطلب الذي لا يقدر عليه سوى الرب سبحانه.

دعاء إجباري:

وهذا الدعاء كان من رحمة الله بعباده أنه أوجب عليهم أن يدعوا ربهم بهذا الدعاء ليلاً ونهاراً في بداية اليوم ونهايته، فمن اللحظة التي يفتح فيها الإنسان عينيه من نومه إلى نهاية يومه عندما يأوي إلى فراشه وهو لا يكل ولا يمل من هذا المطلب الذي يطلبه من ربه.

ومن رحمة الله تعالى أنه لم يكل هذا الأمر للإنسان، بل أوجبه علينا لما فيه من المصلحة البالغة، فمناط سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة موقوف على تحقيق هذا المطلب.

ولقد بيَّنَ رسولنا الكريم ﷺ أنَّ الدعاء هو العبادة، كما بيّنَ الله لنا ذلك، بل دعانا سبحانه أن لا نغفل عن دعائه، ولا نتقاعس عن ذلك، فقد توعّد سبحانه المتغافلين، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

أتدري كم مرة نطلب هذا المطلب من ربنا في يومنا؟

- ليس أقلّ من سبع عشرة مرة في اليوم والليلة:
- مرتان صباحًا (مع إدبار الليل وإقبال النهار) مع بداية الاستيقاظ من نومك ومع بداية استقبال المؤمن ليومه.
- أربعٌ وقت الظهيرة.
- أربع وقت العصر.
- ثلاث (مع إدبار النهار وإقبال الليل) مع بداية ليله.
- أربع في العشاء عند ظلمة الليل.

أتعي أيها العبد ما مطلبك؟

فبعدما أعلنت أن العبادة لا تستحق إلاّ لله تعالى، وبعدما أعلنت أنه لا استعانة إلاّ بالله، فطلبت من ربك المدد والمعونة على أن توفق لطاعته وعبادته.

كان المطلب:

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

اللهم ارشدنا إلى هذا الطريق المستقيم.

لماذا كان هذا المطلب لا يُطلب إلاّ من الله تعالى؟

فربك وحده هو الذي يملك الهداية والإضلال وهو وحده الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، فهو الملك لا ملك غيره، وهو المتصرف في شئون هذا الكون وهو المدبر لشئون عباده، وهو الملك، فقلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها ويصرفها كيفما شاء، وهذا بيده وحده، لا يشرك في ذلك أحدًا، فأيما قلب أراد الله أن يُقيمه على طاعته أقامه، وأيما قلب أراد الله أن يزيغه أزاغه.

فهو سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، فهو الملك.

فهداية العباد إلى الطريق المستقيم بيده وحده دون سواه، وينبغي أن تكون على يقين من ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور: ٤٦]، ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

صور من هداية الله لعباده:

■ نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾

[النحل: ١٢٠، ١٢١].

■ نبي الله محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١]، ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

■ ولقد اختار الله لنا نبيه وحبيبه محمداً ﷺ؛ ليبين لنا كيف نسلك هذا الطريق المستقيم، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٣]. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولذا قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

لماذا أمرنا الله تعالى أن نقتدي بالنبي محمد ﷺ؟

لأنه ﷺ هو الهادي لطريق ربه المستقيم، وهو المرشد والداعي إلى صراط ربه المستقيم، ولقد دعانا الله تعالى إلى امتثال هذا الطريق المستقيم، وحذّر سبحانه من السبل التي ينحرف الإنسان من خلالها عن سبيل ربه المستقيم.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

[الأنعام: ١٥٣].

لراغبي السير في هذا الطريق المستقيم..

هناك مقومات تؤهلك للتوفيق إلى الصراط المستقيم، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥) ﴾

[النساء: ١٧٤، ١٧٥].

ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فعليك بالاعتصام بربك، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾ [آل عمران: ١٠١].

- أتدري ما هي الحرب الدائرة بينك وبين الشيطان؟
- أتدري ما هو هدف الشيطان الاستراتيجي الذي يسعى إلى تحقيقه؟
- أتدري ما هو سبيل الشيطان لينفذ ذلك المخطط؟

إن العداوة بيننا وبين الشيطان عداوة محكمة، ولقد حذّر الله من اتباع الشيطان فيما يدعو إليه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

فلقد بيّن الله لنا أن العبادة هي الصراط المستقيم - كما حكى لنا الله تعالى قول عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) ﴾

[مريم: ٣٦].

وهدف الشيطان الاستراتيجي الذي يسعى إلى تحقيقه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

سبيل الشيطان ليُنفذ ذلك المخطط:

فإنه يقف لنا على رأس الصراط المستقيم لكي يصدنا ويبعدنا عن سبيل الله المستقيم، ولقد حكى الله لنا قول الشيطان ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

هل من مرشد يرشدنا إلى هذا الصراط المستقيم؟

وهل من دليل يدلنا على هذا الصراط المستقيم؟

لقد بيّنَ لنا النّبيُّ ﷺ أنَّ دليل الإنسان في سيره على صراط ربه المستقيم؛ ليتمثل في كتاب الله تعالى؛ ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ضرب اللهُ مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تنفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه؛ إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»** [مسند الإمام أحمد (١٧٥٦٦)].

أعلمت الآن ما هو مرشدك ودليلك على هذا الصراط؟!

هذا كتاب الله قائدك في سيرك إلى ربك وإلى الدار الآخرة ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ويكفيك وصف الجن لكتاب ربك الذي بين يديك ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

أوَقَفْتَ على ما تطلب فتعي ما تقول؟!.

فأنا أطلب من ربي أن يهديني إلى هذا الطريق المستقيم محدداً في مطلبي صفة هذا الصراط، وهو طريق هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق من النّبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وكذلك أطلب من ربي أن يعصمني فلا يدعني أسير سير هؤلاء الذين انحرفوا عن الطريق من اليهود والنصارى وكل أهل الضلال الذين استحوذ عليهم الشيطان، فسلك بهم طريقًا غير طريق الأنبياء والمرسلين.

أوقفتَ الآنَ على طلبك أين تجده؟

في كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لذا كان في بداية سورة البقرة يُبين الله لنا كيف أن أهل التقوى اعتمدوا القرآن كمرشد لهم ودليل، وقائد في رحلتهم إلى الدار الآخرة، وقائدهم في سيرهم إلى ربهم المعبود ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ [البقرة: ٢].

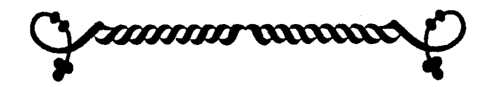
علامة هذه الآية (في طريقي في الحياة):

قبل أن أسلُكَ الطريق وأضع أولى أقدامي على بدايته أتفكر وأعي ما أقول، فأنا أطلب من ربي هدايته إيايّ إلى هذا الطريق المستقيم، فهذا هو الطريق الموصل إلى الجنة، فقبل البدء في السير وقبل الجد في المسير انظر في قلبي أأقصد ما أقول، فقبل المضي مع الطريق لابد أن تأتي الإجابة من قلبي أنا فعلاً أقصد هذا المطلب من ربي، فعندها نقول: فلتمضِ متوكلاً على ربك رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

فهل تجد معلم هذه الآية في قلبك؟

وهل لديك من المقاييس والمعايير التي تقيس من خلالها مدى تأثير هذه العلامة في قلبك، فهذا المعلم قد نراه في القلب، ولكن هناك شواغل وشوائب وعلائق مازالت عالقة بالقلب تمنع من إبراز هذا المعلم في قلبك كانشغال الإنسان بدنياه، وانشغاله بماله وولده، وانشغاله بزوجه، وانشغاله بصحبة لا تعينه على الطريق .. فهذه قيود قد كبّلت الإنسان إلى السير نحو هذا الطريق بجدية وبعزم.

فلا سبيل إلا بتفريغ القلب تمامًا من أي قيد يمنع من تمكن هذا المعلم من قلبك.



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١، ٢٢]

هذا هو أول نداء ورد بترتيب المصحف، وكذلك هذا هو أول أمر ورد في كتاب الله بترتيب المصحف، وفي هذا النداء يُنادي الله تعالى على جميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، حرهم وعبدهم، ذكَرهم وأنثاهم.

يُنادي عليهم مبينًا المهمة التي خُلق الإنسان من أجلها ألا وهي عبادة الله رب العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ .

ولقد وضّح الله ذلك في بيان الحكمة التي خلق الله من أجلها خلقه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

العبادة هي الطريق المستقيم الذي ننشده ونطلبه:

ونحن إذ نطلب من الله تعالى أن يهدينا ويرشدنا إلى صراطه المستقيم، فهذا الصراط يتمثل في العبادة؛ ولذا قال الله تعالى حاكيًا عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٦].

ولذا حذر الله من اتباع الشيطان، فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

لماذا لا تصرف العبادة لغير الله تعالى؟

لأنه هو سبحانه الخالق الذي خلق الإنسان وصوّره في أحسن صورة، وهو الذي خلق السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما، فكل ما سوى الله مخلوق، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فربي الذي أعبده هو الذي خلق الإنسان كما وصف لنا ذلك، قال تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر: ٦]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [الحج: ٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فربي الذي أعبده هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو خالق وموجد كل المخلوقات ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢].

فربي الذي أعبده هو الخالق وما سواه مخلوق له مربوب له، فلا خالق غيره، فجميع السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن.

فما حق الخالق علينا؟

فهل حقه أن نعبده وحده دون سواه أم نشرك معه غيره من مخلوقاته فنرفعها إلى مصاف الألوهية؟!

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)** ﴾ [الإسراء: ١١١].

فهو سبحانه أكبر من كل شيء، فلتعظمه ولتجله، وذلك بذكرك لأوصافه والثناء عليه بأسمائه الحسنى فتحمده على محاسنه سبحانه، وتعظيمك وإجلالك لربك بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله.

ولقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئًا**».

فلا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلا من كان خالقًا رازقًا مالكًا متصرفًا مدبرًا لجميع الأمور حيًا قيومًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا موصوفًا بكل كمال، منزهًا عن كل نقص، غنيًا عما سواه وغيره فقير إليه محتاج إليه.

ولتلمس نعم الله عليك، ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢].

ما المطلوب بعد تذكر نعم الله والتذكير بنعم الله علينا؟

﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)** ﴾ [البقرة: ٢٢].

ولقد نادى الله على جميع خلقه مذكرًا إياهم أنه هو سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد والرزق، فلا يُشرك معه في عبادته أحد ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ**

عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ [فاطر: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

فهل من خالق غير الله يتكفل برزقكم؟

فإن اعترفنا وقلنا أنه لا خالق ولا رازق إلاّ الله فهو دليل وبرهان على ألوهيته ووجوب إخلاص العبودية له سبحانه، فكيف تُصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة مخلوق مرزوق، فإن قلنا لا يستحق العبادة إلاّ الله وحده لا شريك له، فكان لزامًا أن نتعرف على هذا الرب الذي نعبده، نتعرف عليه من خلال أفعاله، ومن خلال ما تسمَّى به من أسمائه الحسنى، ومن خلال أوصافه سبحانه.

فنقول هذا ربي الذي أعبده:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص].

فربي أحد فرد صمد، فهوأحد سبحانه في ذاته، أحد في ربوبيته، أحد في ألوهيته، أحد في أسمائه وصفاته، فلا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا شريك له، ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له، ولا نظير له في شيء من أسمائه أو أوصافه، ولا منازع له ولا مغالب له، فهو سبحانه ليس كمثله شيء.

وهو سبحانه المتفرد في ملكوته دون سواه، فهو الخالق الرازق المحيي المميت

النافع الضار المعز المذل الخافض الرافع المعطي المانع، بيده السعادة والشقاوة والهداية والإضلال.

ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

فما ظنك أيها العبد؟

- ما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على هداية من أضله الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إعزاز من أذله الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إحياء من أماته الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على خلق ذبابة أو استنقاذ ما تسلبه منه، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟

فالكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، مشيئته فيهم نافذة لا امتناع لهم عما قضاه، ولا خروج لهم من قبضته، فلا حركة ولا سكون إلاّ بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وهو سبحانه الصمد، الذي تصمد إليه جميع الخلائق في مسائلهم وحوائجهم، فهو الكامل في صفاته، وهو الذي تقصده جميع المخلوقات في كل الأمور والحاجات. فهو سبحانه يُقصد في كل ما يحتاج إليه العبد، ويكفيك في ذلك أنه سبحانه دعا عباده إلى ذلك، ألاّ يطلبوا إلاّ منه سبحانه، وأنه لا يخيب رجاء من رجاه، بل خلق الخلق؛ ليُحسن إليهم ويُنعم عليهم، ويتفضل عليهم، فقال سبحانه: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهو كما يقول سبحانه فيما يرويه النَّبيّ ﷺ عن ربه تعالى: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني** ».

وهو سبحانه الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولا مثيل له ولا كفؤ له ولا مساوي له سبحانه ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

وربي الذي أعبده هو كما وصف نفسه في سورة الفاتحة، فهو سبحانه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مالك يوم الدين.

فهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه رب العالمين؟

وهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه رحمن رحيم؟

وهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه مالك يوم الدين؟

فأقول - إنّ ربي الذي أعبده هو رب العالمين:

فهو ربّ كل شيء ومليكه، و هو رب الأولين والآخرين، و هو رب المشرقين ورب المغربين رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وهو رب الأراضين السبع، وهو رب الأولى والآخرة، و هو سبحانه الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، وهو الذي أخرج المرعى، وهو الذي أمات وأحيا، و هو الذي صوّر الإنسان في

الأرحام، وهو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وهو الذي خلق الظلمات والنور والظل والحرور، وهو الذي فلق الحب والنوى وسخّر الشمس والقمر، وخلق الأنعام وأصنافها، وهو القائم برزق الأحياء وكل دابة من أهل الأرض، وهو الذي خلق الإنسان ومدّه بالسمع والبصر والفؤاد.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾ [الرعد: ١٦].

انظر إلى هذه المناظرة التي تمت بين موسى عليه السلام، وبين الطاغية فرعون الذي ادّعى الربوبية، وقال أنا ربكم الأعلى، فكيف دحضه موسى عليه السلام وأقام عليه الحجة العقلية، ثم الحسية.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨].

وكذلك هذه المناظرة التي تمت بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود بن كنعان الذي جحد وجود الخالق، **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾** [البقرة: ٢٥٨].

ولا سبيل لكي نتعرف على رب العالمين إلاّ من خلال القرآن؛ لنقف على

أفعال الرب سبحانه، فنقرأ في سورة النحل: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) ﴾ [النحل: ٣ – ١٧].

ونقرأ في سورة الأنعام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الأنعام: ٩٥ – ٩٩].

ونقرأ في سورة الرعد: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢ – ٤].

ونقرأ في سورة الواقعة: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٧ – ٧٤].

ونقرأ في سورة النبأ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ

الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾ [النبأ: ٦ – ١٦].

ولو تتبعنا سور القرآن – خاصة السور المكية – لوجدنا هذا التركيز على قضية التوحيد وعلى تعريف الناس بهذا الرب الذي نعبده، فهو سبحانه رب العالمين الذي له كمال القدرة وعظيم التصرف، وهو الخالق الرازق الذي بيده الموت والحياة، وهو مالك هذا الكون ومالك الآخرة والمدبر لشئون خلقه وشئون هذا الكون.

وأقول إنّ ربي الذي أعبده هو الرحمن الرحيم:

فهو سبحانه ذو رحمة واسعة شاملة لجميع خلقه في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، فهو سبحانه رحيم بعباده المؤمنين.

فما لله على خلقه من الإحسان والإنعام والإفضال شاهدٌ برحمته التامة الواسعة التي وسعت كل شيء، فبرحمته سبحانه أرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب، علّمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى وأرشدنا من الغي، وبرحمته سبحانه عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا.

وينبغي أن يستقر في القلوب والعقول أن ربي سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وحسبك ما قال النَّبيُّ ﷺ عندما قدم سبيّ فإذا امرأة من السبي تسعى إذْ وجدت صبيًا في السبي أخذته فالصقته ببطنها، وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ لصحابته: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قالوا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

وقال الله تعالى عن نفسه: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ [الأنعام: ١٣٣]،

﴿ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقد كتب الله سبحانه على نفسه الرحمة: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ومن رحمة الله بخلقه أن أرسل الرسل، فقال عن رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه عن عيسى بن مريم: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾ [مريم: ٢١].

ومن رحمة الله بخلقه إنزال الكتب، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]. وقال سبحانه عن التوراة: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧]. وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾ [النحل: ٦٤].

ومن مظاهر رحمته بعباده الليل والنهار، قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص: ٧٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠].

ومن رحمة الله بالمؤمنين أن يسد عليهم منافذ المعاصي، قال تعالى: ﴿ وَقِهِمُ

السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

[غافر : ٩] .

ومن رحمة الله بعباده أن أتمّ علينا هذه الشريعة، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وقال سبحانه عن تفصيل آيات هذا الكتاب : ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فصلت : ١ - ٤]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٢] .

وهو سبحانه برحمته يسّر لنا تعلم الأحكام، قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرحمن ١ ، ٢]، وقال سبحانه : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

فكان إنزال الله لهذا الكتاب رحمة للمؤمنين؛ لأنه لا سبيل للخروج من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن الضلال إلى الهدى إلاّ بكتاب الله تعالى، قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد : ٩] .

فلا يكون بعد ذلك توكل الإنسان إلاّ على ربه الرحمن الرحيم، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٧] .

فربكم ذو رحمة واسعة، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وأقول إن ربي الذي أعبده هو الملك:

فهو سبحانه الملك الذي استغنى عن غيره، وقد احتاج إليه غيره، وهو المالك لكل الخلائق، وهو المتصرف في هذا الكون وحده دون سواه .

فهو سبحانه الملك الذي استغنى بذاته وصفاته وأفعاله عن كل مخلوق، وجميع الخلق لا غنى لهم عن الملك.

فهو مالك السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الشورى: ٤٩]، ﴿ **لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ② ﴾ [الحديد: ٢].

وهو الملك الذي لا تنفذ خزائنه ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ㉖ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ومُلك كل ملك سيؤول إليه ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ⑯ ﴾ [غافر: ١٦].

الحمد لله أن ربي هو الملك ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ⑪⑪ ﴾ [الإسراء: ١١١].

وانظر إلى عظمة الملك وكبرياء الملك، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**».

فربك هو مالك يوم الدين، وكل من ملك في الدنيا سيأتي ربه يوم القيامة مع باقي الخلائق على صفة واحدة لا يتخلف عنها أحد، يأتون جميعًا «**حفاة عراة غرلاً**».

ففرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى. وهذا النمرود الذي جحد الإله، وهامان

وقارون وكل طاغية يأتي يوم القيامة، وقد سُلب منه ما دفعه إلى الطغيان، الكل يقف ذليلاً وضيعًا بين يدي الملك، بين يدي ربي الذي أعبده.

فلا نقول إلاَّ: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولا ننسى أن نقول صباحًا ومساءً:

أصبحنا وأصبح الملك لله.

أمسينا وأمسى الملك لله.

والمؤمن لا يتضرع إلاَّ إلى الله، ولا يتوكل إلاَّ على الله، فكل من في الأرض وما يملكونه مُلْكٌ لله عزّ وجلَّ؛ لأنه الملك؛ فإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنْتَ فاستعن بالله.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لقد بيّنت هذه الآية أنَّ المطلوب منّي أن أحقق هذه العبودية التي خلقنا الله من أجلها، وسخّر لنا كل ما في هذا الكون؛ ليسهل علينا القيام بهذه المهمة، وأن العبادة هي الطريق المستقيم الذي أطلبه وأنشده.

فعلمت عند ذلك أنني عبدٌ لربي، وأنّ ربي ما خلقني إلاّ لأعبده، فكان لابد أن أتهيأ لأن أكون عبدًا لربي، عبدًا لسيدي ومولاي ولا سبيل لذلك إلا بتنفيذ أوامره، فأنا تحت قهره وسلطانه، فلا أنشغل بغير مولاي، بل أنخلع من كل محبوبات النفس، أما سعيي وجدّي واجتهادي وتحقيقي لمحاب سيدي ومولاي الذي يطعمني ويسقيني، والذي يُميتني ثم يُحْيِيني، فلا حركة صادرة مني ولا سكنة، بل لا قول ولا فعل إلاَّ بأوامره.

فلما استقر ذلك في قلبي، ما هي مهمتي، كانت الخطوة التالية، وما السبيل لكي أحقق هذا المطلوب مني، وما دليلي ومرشدي وقائدي في سيري إلى ربي لكي أعبده؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إن المهمة التي خُلق الإنسان من أجلها هي عبادة الله وحده دون سواه.

فإن قلنا وكيف السبيل لتحقيق هذه العبودية؟

نقول: إنّ سبيل الإنسان لتحقيق العبودية التي خُلق الإنسان من أجلها لا يكون إلاّ عن طريق هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، وعن طريق تعرف الإنسان على هذا الدين الذي ارتضاه الله لنا ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

فلابد من الدخول في الإسلام دخولاً شموليًا جملة وتفصيلاً، ولابدّ من الوقوف أولاً على معنى الإسلام؛ لكي نتصور هذا الدين تصوراً حقيقيًا.

فنقول: الإسلام في معناه هو الاستسلام والخضوع والانقياد لرب العالمين، وهو مجموع ما أنزل الله على رسوله ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقات بين الأفراد والأحكام المتعلقة بالحكم والاقتصاد والموارد المالية.

وهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به الرسول ﷺ.

ولقد بيّن لنا النّبيُّ ﷺ الأركان التي بُنيَ عليها هذا الدين، فقال ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وإقام**

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

وبالنظر إلى كلام النَّبيّ ﷺ نجد ان هذا الدين مبنيٌّ على أركان ثلاثة:

- **التوحيد**: وهو قول أشهد أن لا إله إلاَّ الله.
- **الاتباع**: وهو قول أشهد أنّ محمداً رسول الله.
- **التزكية**: وهي المتمثلة في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

فكل الطاعات والقربات سواء كانت واجبة أو مستحبة، فكلها من الإسلام، وكذلك تجنب كل المحرمات التي نهى الله عنها من الإسلام.

فلا سبيل للإنسان أن يحقق المهمة التي خُلق من أجلها إلاَّ بالوقوف على ما اشتمل عليه هذا الدين من عقيدة وعبادات ومعاملات وسلوكيات وتطبيقات.

وكذلك على الإنسان أن يحذر هذا العدو المتربص بالإنسان الا وهو الشيطان الذي يُحاول جذب الإنسان بعيداً عن دين ربه وبعيداً عن طريق ربه المستقيم.

ولقد بيَّنَ اللهُ لنا سُبُل الشيطان وأدواته وخططه التي يُحاول من خلالها الاستحواذ على الإنسان لإبعاده وإنسائه ما هو المطلوب منه، فهو في محاولات مستمرة لصد الإنسان عن الطاعة والعبادة وأن يُلبس عليه أمر ذلك الدين.

ولا سبيل للإنسان من صون نفسه عن الشيطان إلاَّ بإخلاص هذا الدين لربه الذي يعبده، و كل ذلك مداره أن يقف الإنسان مع حدود ما رسم الله لنا في هذا الدين.

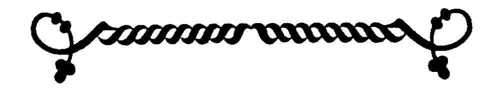
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لابد من تعلم أمر هذا الدين عقيدة وشريعة، ولابد من تسطير ذلك؛ لتكون

هي خطة العمل في المرحلة العمرية التي وهبها الله لنا في الدنيا؛ فبهذا الدين يرسمُ الإنسان سبيله في تحقيق العبودية التي خُلق من أجلها؛ فكان لابد أن أتعلم وأَتَعَرَّفُ على معالم هذا الدين.

وهذا يتطلب أن أقوم بدارسة مستفيضة ودقيقة لكتاب الله تعالى وسُنَّة النَّبيِّ ﷺ؛ لأقف على معالم هذا الدين المطلوب تنفيذه؛ لكي أحقق ما خُلِقْتُ من أجله.

فعندها علمت أنني لابد أن أتعلم أمر هذا الدين بعدما تعلّمتُ لماذا خلقني الله، واستقر ذلك في وجداني وكياني.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾
[آل عمران: ١٠٢]

هذه وصية الله إلينا ألاّ نموت إلاّ على الإسلام، ففيها التحذير من أن نموت على غير هذه الملة، فلابد من الثبات على الدين حتى الممات؛ ولذا قال الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر: ٩٩].

وهذه وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه، حيث قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ما هو السبيل للثبات على دين الله؟

أن نلازم التقوى، وذلك أن نعمل الواجبات ونترك المحرمات، وهذا كما قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل: «**اتق الله حيثما كنت**».

وكانت بغية الأنبياء أن يتوفاهم الله على الإسلام، كما جاء ذلك عن يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهؤلاء سحرة فرعون لما رأوا هذه الآية التي أيَّدَ اللهُ بها موسى عليه السلام فلم يملكوا أنفسهم إلاّ أن خرّوا سجداً لربهم، ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾

[الأعراف: ١٢٠ – ١٢٦].

فالقرآن يقرر في وضوح تام أن الإسلام دينُ أهل السماوات والأرض ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

[آل عمران: ٨٣].

وإلى هذا الدين وحده وجّه النَّبيُّ ﷺ رسله ورسائله إلى الملوك وعظماء الملل وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٦٤].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني هذه الآية أنه لا سبيل للنجاة إلاّ بثبوت أقدامي على هذا الطريق حتى الممات، فلا آمن للبداية حتى تنضم إليها النهاية.

فالمطلوب الثبات على دين الله، فسعيي الدائم ألاّ أُفارق هذه الدنيا إلاّ وأنا مستمسك بذلك الدين، فعلّمتني هذه الآية أن أرى وأنا في سيري على الطريق المستقيم خط النهاية، فلا ينصرف بصري عن هذا الخط؛ فأنا أسير في طريقٍ واضح وبيّن، والرؤية فيه جلية واضحة مع رؤيتي الدائمة لخط الانتهاء، فإنه لم يغب عن بصري، وهذا فيه الدافع إلى مزيد من التمسك والسير بثبات في هذا الطريق لوضوح الروية ووضوح الهدف.

معالم هذه الآيات في طريقي في الحياة:

الآية الأولى:

وضحت السبيل الذي أطلبه من ربي في أن الله يرشدني بفضله وإحسانه وإنعامه وجوده وبره ورحمته يُرشدني إلى صراطه المستقيم.

الآية الثانية:

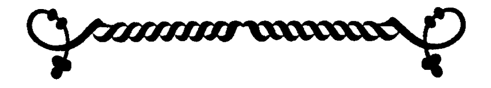
بيَّنت لي أن الصراط المستقيم الذي أطلبه من ربي هو العبادة وهي المهمة التي خلق الله العباد من أجلها.

الآية الثالثة:

كانت هذه الآية هي الموضحة والمبينة لي السبيل لتحقيق العبودية، وذلك من خلال اعتماد هذا الدين والدخول فيه دخولاً شموليًا جملة وتفصيلاً مع التحذير من الشيطان المتربص بالإنسان ليأخذه بعيداً عن صراط ربه المستقيم.

الآية الرابعة:

علمتني أن نظري وبصري وأنا أسير في طريق ربي المستقيم لا ينصرف بصري عن نهاية هذا الطريق، فهو طريق مستقيم نرى بداية الطريق كما أننا نرى نهايته، فهو طريق لا اعوجاج فيه، ففي كل خطوة نقطعها في هذا الطريق لم ننشغل عن رؤية نهاية هذا الطريق فإنها لم تخفَ علينا في لحظة واحدة.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾

[النساء: ١٣٥]

فالله يأمرنا أن نكون في كل أحوالنا قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله تعالى وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله ألاّ يستعان بنعم الله على معصيته، بل تُصرف في طاعته.

والقسط في حقوق الآدميين أن نُؤَدّي جميع الحقوق التي للآخرين علينا (من نفقة واجبة) ديون، وغير ذلك من الحقوق الواجبة للآخرين علينا.

ولابد أن يعدل الإنسان في الحكم وكذلك أن يؤدي الشهادة على وجهها، ولو كانت على نفسه أو على أقرب الناس وأحبهم إليه، ولا يُراعي فيها الغني لغناه، ولا الفقير لفقره، بل نشهد بالحق على أي كائن كان؛ لأنها شهادة تؤدى لله تعالى.

وأعظم عائق للعدل هو الهوى الذي يعمي بصيرة صاحبه حى يرى الحق باطلاً، والباطل حقًا، فمن سلم من هوى نفسه وفّق للحق وهُدي إلى صراط مستقيم، وكذلك نتنبه ونحذر من ليّ اللسان عن الحق وتحريف النطق، أو عدم الإتيان بالشهادة على وجهها، أو ترك أداء الشهادة التي يجب عليك أن تؤديها.

فالعدل هو الركيزة التي يُقام عليها المجتمع، ولا سبيل للإنسان أن يكون

عادلاً في حكمه إلاَّ عندما يحقق العدل في نفسه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨].

فالإنسان يسعى أن يحقق العدل مع ربه، والعدل مع نفسه، والعدل مع الخلق، ويكفيك قول النَّبيِّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «اتقِ الله حيثما كُنت، وأتبع السَّيِّئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلق حسن».

والعدل خلق لا يجزأ، فلا نفرق بين عدو وغيره، كما قال الله تعالى مبينًا أن العدل يكون حتى مع الأعداء ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

والعدل في الحكم بين المتنازعين، ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات: ٩].

احذر الهوى فإنه إله يُعبد من دون الله:

قال الله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الهوى إله معبود».

والهوى ينبغي أن نعلم أنه عميق الجذور في النفس البشرية؛ فإنه مركوز داخل النفوس، ولاشك أن السبب في قوة الهوى وسيطرته على النفس أن الشهوات التي يهواها الإنسان مخلوطة بكيانه، وهي تظهر للإنسان وقد ازّيّنت، فتأمره نفسه بتحصيلها؛ لشعوره باللذة عند تحصيلها، فلا يكون همّ للإنسان إلاّ السعيّ لتحصيلها خاصة وكما قال الله تعالى أنها مزينة داخل النفوس ﴿ زُيِّنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤].

والهوى حمل أصحابه على الكفر بالله ومعاداة رسل الله، بل حملهم على قتل الأنبياء والمرسلين ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠].

واتباع الناس لأهوائهم أفسد عليهم دنياهم وأخراهم؛ فإنهم في الدنيا يقضون أعمارهم سعيًا وجريًا وراء تحقيق الملذات والشهوات، فقد يدفعهم ذلك إلى البغي والظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، وعدم أداء الحقوق؛ ولذا قال النَّبيُّ ﷺ مُحذراً من اتباع الهوى: «**ثلاثٌ مُهلكات: شُحٌ مطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

ومن أعظم نتائج اتباع الهوى: رفض الإنسان لصوت الحق؛ لأنه يتعارض مع هواه ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى يدفعه إلى تقديم الرأي على الوحي.

والإنسان بحاجة ماسة إلى أن يرسم الطريق الذي من خلاله يقف على أساليب مقاومة الهوى ويدفع من خلاله الدوافع التي تدفعه وتدعوه إلى مخالفة الصراط المستقيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا سبيل للإنسان أن يستمر على دين ربه، وأن يقوم بحق الله عليه وأداء حقوق الآخرين عليه إلاَّ بإقامة العدل في داخله ودفع الهوى المركوز داخل النفوس وإنها لمعركة قائمة بين هذا العدل والهوى أيهما كان أقوى كان طارداً للآخر.

ودفع الهوى لا يكون إلاَّ بالوقوف مع دواعي الهوى التي تدفعه للشر ومخالفة

الصراط المستقيم، فيقف على تعريف الهوى وعلى صور تحكّم الهوى في الإنسان، وما هي الوسائل التي يتحصلها ليدفع عن هذا الهوى ويقاومه.

ونذكر قول عمار بن ياسر ﵁ : ثلاث من جمعها فقد جمع الإيمان، منها: الإنصاف من نفسك.

فتعلمت أن أقيم العدل في نفسي، وأُقيمه في قلبي لكي أحقق العدل، حتى لو كان مع أعداء الله، فلا تحملني عداوتهم وبغضهم إلى الظلم.



﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧].

لابد من وقفة مع النفس؛ ليتذكر الإنسان نعم الله عليه، ولابد أن يسعى الإنسان لإحصاء هذه النعم ما استطاع؛ حتى يقوم بأداء واجب الشكر لله تعالى على نعمه، فلقد أوجب الله تعالى علينا شكر هذه النعم.

ونِعَم الله علينا عظيمة وكثيرة، ولكن ما من بدّ إلاّ ببذل الجهد لإحصائها وعدّها ثم تصريفها في طاعة الله تعالى، فلتسعَ إلى تحديد هذه النعم، وما هو السبيل في شكر الله عليها.

فنعمة الإسلام، نعمة الإيمان، نعمة القرآن، نعمة السُّنَّة، نعمة الصحّة، نعمة الفراغ، نعمة المال، نعمة الزوجة، نعمة الأولاد، نعمة العلم، نعمة الملك وغيرها.

والإنسان يعلم يقينًا أن شكره لربه على هذه النعم لا يزيد في ملك ربه شيئًا، ولكن هذا الشكر يعود على الإنسان نفسه بالنفع، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

ونعلم أن زيادة نعم الله على العبد لتأتي بمزيد من الشكر ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والإنسان يطلب من ربه المدد والمعونة؛ لكي يقوم بشكر ربه سبحانه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝١٩﴾ [النمل: ١٩].

وكان من نعم الله تعالى تيسير الطاعات وتخفيف الأحكام ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾

[البقرة: ١٨٥].

ومن نعم الله تعالى أن رفع عنّا الأغلال التي كانت على الأمم السابقة، ورفع عنّا المشقة ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾ [المائدة: ٦].

ومن نعم الله تعالى تفصيل الأحكام ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾

[المائدة: ٨٩].

ومن نعم الله تعالى أن أعطانا هذه الحواس لندرك بها الهدى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن نعم الله تعالى العلم النافع ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) ﴾ [لقمان: ١٢].

ومن نعم الله تعالى علينا أن أباح لنا الطيبات ورزقنا من فضله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾ [البقرة:

١٧٢]، ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾ [النحل: ١١٤].

ولقد مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام لأنه كان دائم الشكر لربه على نعمه ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾ [النحل: ١٢١، ١٢٢].

من تمام عبودية الإنسان لربه أن يكون شاكرًا لأنعم الله عليه ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر: ٦٦].

ولقد مدح الله تعالى نوحًا عليه السلام ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ [الإسراء: ٣].

وكان النبيُّ ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، ولما سُئل عن ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وكفى أن ربك شكور ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وانظر إلى حال أهل الجنة في شكرهم لربهم ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [فاطر: ٣٣، ٣٤].

فربك شكور حليم ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾ [التغابن: ١٧].

تذكير الله عباده بنعمه عليهم:

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾ [النحل ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ [فاطر: ٣].

وكفاك لتعرف نعم ربك ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

أتذكر الميثاق الذي أخذه الله علينا ونحن في عالم الذر:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وكان من نعم الله على خلقه ومن رحمته بهم أن أرسل الرسل تذكيرًا بهذا الميثاق الأول، وبيانًا لكيفية الحفاظ عليه، والوفاء بهذا العهد والميثاق.

ولقد حذّر الله من نقض الميثاق، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ

بَعْد مِيثَاقِه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِه أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد: ٢٥].

ونقض الميثاق يستوجب غضب الرب سبحانه ولعنته، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ [المائدة: ١٣].

وفي المقابل هذا جزاء الموفون بعهد ربهم غير الناقضين لميثاقه، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِه أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢٤].

السمع والطاعة:

فلقد أخذ الله علينا أن نسمع ونطيع وبيّنَ سبحانه أن مسلك المؤمن مع آيات ربه السمع والطاعة ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)** ﴾ [النور: ٥١].

وقال النَّبيّ ﷺ لصحابته: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**».

احذر!!

إنّ ربك يُراقب خواطرك، ويطلع على ما بداخلك؛ فربك سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم سبحانه ما يلج في الأرض وما

يخرج منها، كما أنه يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ويعلم خائنة الأعين وما نخفيه في نفوسنا، قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فربك عليم بذات الصدور ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ ﴾ [المائدة: ٧]. فهو سبحانه يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الأفكار والأسرار والخواطر؛ فاحذروا أن يطّلع على أمرٍ لا يرضاه أو يصدر منكم ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمحبته ومعرفته.

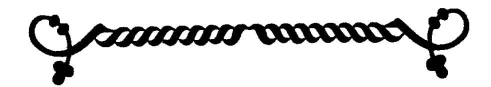
فلتراقب واردات قلبك وخواطرك، فربك بصير، ولتعلم أن الدافع لسير الإنسان على طريق ربه المستقيم هو التقوى، فلتلازم التقوى في سيرك إلى ربك، فهو سبيلك للنجاة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علمتني هذه الآية أن حق الله عليَّ أن أكون متذكرًا لنعمه سبحانه، شاكرًا له عليها، وهذا يتطلب وقتًا مقطوعًا لصالح هذا الأمر لأضع معلم ذلك الأمر في طريقي، فأُحدد وأحاول جاهدًا أن أقوم بإحصاء نعم الله عليَّ، ثم أضع مقابل كل نعمة ما هو سبيلي في شكر الله عليها.

فنعمة الإسلام سبيلي في شكر الله عليها أن أُحصي أوامر ربي ونواهيه؛ لكي أمتثل ما أمر به، وأجتنب ما نهاني ربي عنه؛ حتى أُحافظ على تلك النعمة، ونعمة القرآن سبيلي في شكر ربي عليها أن أقبض على مصحفي ليلاً ونهارًا؛ فهو دستور العمل وقائدي في سيري إلى ربي وإلى الدار الآخرة؛ فأقرأ القرآن بتدبر وتأمل؛ لأتعرف على مدلول هذه الآيات وما اشتملت عليه من حكم وأحكام، واقف عند حدود ما رسم لنا الله تعالى ولا أتعداه، فاعلم ما هو المطلوب وما هو

سبيلي في تنفيذه؛ فالقرآن رسالة الله إلينا، وتعلمت أن أُقيم هذا المذكر من داخلي منبهًا على هذا الميثاق الذي أخذه الله علينا أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن أراقب خواطري وواردات قلبي، بل وأُراقب أفكاري وما أتبناه منها؛ لأن ربي يراقبني؛ فهو مطّلع عليّ ولا يخفى عليه مني شيء.



﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]

ترسم لنا هذه الآيات معالم الطريق المستقيم، وهي علامات وإنارات على الطريق نسترشد من خلالها ونطمئن على سيرنا في هذا الطريق المستقيم.

ومعالم هذا الطريق كما توضحه الآيات ليتمثل في:

- تحقيق الإيمان ونفي الشرك.
- الإحسان للوالدين.
- الإحسان للأبناء.
- الإحسان مع النفس.
- الإحسان مع الخلق وعدم التعدي على حقوقهم خاصة الضعفاء منهم، فلا نتعدى على أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم.
- العدل في القول والعمل (في الحكم بين الناس).
- الوفاء بعهد الله من القيام بحقوقه سبحانه والوفاء بها.

وكل معلم من هذه المعالم لابُدَّ من الغوص في داخله؛ لنقف على دقائقه، فلا سبيل لتحقيق كل معلم من هذه المعالم إلاَّ بصورة الوقوف على حقيقته وعلى عوامل إقامته وإنشائه والبعد عن عوامل هدمه وتصدعه.

فكان المعلم الأول - تحقيق العبودية والابتعاد عن الشرك:

فلا نقول أن هذا نلمحه في كتاب الله تعالى، بل نقول أن أصل رسالة الرسل كانت من أجل هذه القضية ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ [النساء: ٣٦].

بل ما بعث الله من نبي ولا رسول إلاَّ وأمضى حياته بأكملها في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

فما هو المطلوب وما هو السبيل لتحقيق هذا الركن الركين الذي هو أصل لكل أصول الدين والعبادة؟، السبيلُ أن نقف على كيفية توحيد الله تعالى وتفرده سبحانه في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، وهذا يتطلب التعرف الدقيق على هذا الرب الذي أعبده ويكفيك في تحقيق هذا المعلم أن نعتمد القرآن فكله يتكلم عن التوحيد؛ حتى نصحح هذا التصور الصحيح في الرب المعبود سبحانه، ولا سبيل للإنسان لكي يكتب له النجاة إلاَّ أن يستمر على هذه العقيدة الصحيحة حتى الممات.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾ [النساء: ١٣٦].

ولا يستطيع الإنسان أن يجتنب الشرك إلاَّ أن يتعرف أولاً على الشرك وعلى معالمه سواء كان الشرك في الربوبية أو الشرك والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا

محبط للأعمال إلاَّ الشرك ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

ويكفيك للوقوف على خطورة الشرك أن تقف على قول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٨].

المعلم الثاني - بالوالدين إحساناً:

ونرى هذا الاقتران بين التوحيد وبر الوالدين، فهي من أخطر القضايا بعد التوحيد، قضية الإحسان إلى الوالدين، فكانت هذه الوصايا الجمة في كتاب الله تعالى للإحسان إلى الوالدين ولو كانا كافرين، ولو كانا يدعوان ولدهما إلى الكفر بالله، فلا إساءة يقدمونها لولدهم أكثر من ذلك، و مع ذلك يأمر الله سبحانه أن يصاحبهما في الدنيا معروفًا مبينًا عظم حقهما على ولدهما.

وفي قصة الثلاثة الذين في الغار، فكان أحدهم بره بوالديه أحد الأسباب التي فرجت عنهم ما هم فيه .

وبر الوالدين وصية الله تعالى للأوّلين والآخرين؛ ولذا يذكر الله تعالى أن هذا الميثاق الذي أُخذ على بني إسرائيل كان من بنوده الإحسان للوالدين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣].

بل إن كان من خير يقدم فليبدأ بالوالدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

بل نرى في الآيات التنبيه على اللطف والإحسان خاصة عندما تضعف قواهما فلتحسن إليهما بجميع وجوه الإحسان من قول وفعل مع كفٍّ أي صورة من صور إيذائهما، فلا تؤذيهما بأدنى أذية، بل تتلطف معهما بلين الكلام وحسن المنطق مع التواضع لهما، بل باستمرارية الدعاء لهما بالرحمة أحياءً كانوا أو أمواتًا؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وانظر إلى حال هذا الولد العاق الذي يأبى الاستجابة لدعوة والديه إليه لتوحيد الله تعالى، وكم شفقتهما عليه، وكيف لا يفتران عن طلب الهداية له من الله تعالى، ولكن ما زال في عتوه وضلاله ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

المعلم الثالث - الإحسان للأبناء:

فلقد نهى اللهُ الآباء أن يقوموا بقتل أبنائهم فلذات أكبادهم خشية الفقر، وهذه القضية لها تعلق وثيق بقضية الرزق؛ فإن استقرَّ في داخله أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه ما من دابة في الأرض إلاّ وعلى الله رزقها فقد تكفل سبحانه بأرزاق مخلوقاته لو استقر ذلك في داخله لسكنت نفسه واطمئنَّ قلبه، ولقد أمر الله بالإحسان للأبناء في تربيتهم وتعرفهم على ربهم سبحانه.

المعلم الرابع - الإحسان مع النفس:

يقول سبحانه: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: **«واتبع السيئة الحسنة تمحها»**.

ويقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والإنسان لابد له أن يقي نفسه من النار، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

ولا سبيل للإنسان في أن يتقي ويتجنب هذه الفواحش، سواء الظاهرة والباطنة إلاّ من خلال الوقوف أولاً ما هي الفواحش الظاهرة، وكذلك أن يحدد ما هي الفواحش الباطنة فيقف على تفاصيلها؛ لأنه لا سبيل لاجتنابها إلاّ بتحديدها أولاً، ثم الوقوف كيف السبيل لعلاج ذلك إن وجد عنده.

المعلم الخامس - الإحسان إلى الخلق:

وذلك بعدم التعدي على حقوقهم، فلقد حرّم الله علينا الاعتداء على الآخرين سواءً على أعراضهم أو أموالهم أو دمائهم؛ لذا قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ

دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في عامكم هذا». وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»، وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره**».

فحرمة الاعتداء على الآخرين مسلمًا كان أو كافرًا إلاَّ بحقٍّ أوجبه الشارع، وكذلك من صور الإحسان إلى الخلق الإحسان إلى اليتيم، والقيام بمصالحه وصيانة وحماية ماله، والتحذير من التعدي، فربك بالمرصاد ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (١٠)﴾ [النساء: ١٠].

وكذلك إيضاء الحقوق والقيام بالقسط، والقيام بالعدل في القول والعمل، فيراعي الصدق في كل ما يقول أو يفعل سواء فيما يحب أو يكره سواء كان قريبًا أو بعيدًا.

المعلم السادس - الوفاء بعهد الله تعالى:

فلتف بما عاهدت عليه ربك من القيام بحقوقه، والوفاء به؛ فلتقف على بنود هذا العهد الذي بينك وبين ربك سبحانه، يقول سبحانه: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** (٦٠) **وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** (٦١)﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

ولقد أمرنا الله أن نفي بعهده، قال سبحانه: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ [النحل: ٩١].

وقال سبحانه مادحًا من أوفى بعهد الله: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** (٧٦)﴾ [آل عمران: ٧٦].

ثم حذّر الله تعالى من اتباع هذه السبل التي يقوم بنصبها الشيطان في طريق

الناس ليصدهم عن سبيل ربهم، ويأخذهم بعيداً عن صراطه المستقيم ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

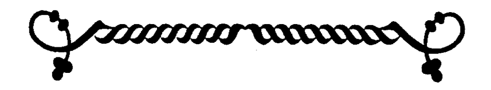
فاحذروه على أنفسكم واقبلوا وصية الله لكم، فإنه سبحانه لا يدعوكم إلا إلى الجنة والمغفرة بإذنه، ويدعوكم لكي تكونوا من ساكني داره دار الكرامة ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾ [يونس: ٢٥].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذه الآية تبين لنا المعالم الرئيسية لهذا الطريق، وإنها لعبارة عن إنارات مضيئة على هذا الطريق يتعرف الإنسان فيها على كل معلم من هذه المعالم الرئيسية لهذا الطريق ولا أمان للإنسان في مُضِيِّه على هذا الطريق المستقيم بلا انحراف إلا بإقامته ووقوفه على هذه المعالم وكيفية إتقانها وإقامتها فهي إنارات وإشراقات على هذا الطريق.

فلا سبيل لسير الإنسان في هذا الطريق إلا بإقامة هذا المعلم الأصيل ألا وهو توحيد الله تعالى ومنه اجتناب الشرك فهو المعول الذي يصدع صرح الإيمان، وكذلك يمضي بسعيه أن يكون من المحسنين، فيظهر إحسانه في معاملته لوالديه ومعاملته لأبنائه ومعاملته لخلق الله خاصة الضعفاء وإحسانه مع نفسه.

فعلمتُ أنَّ سبيلي للمضي على الطريق المستقيم لا يكون إلا بالوقوف على هذه العلامات والدلالات لنضمن تواصل السير على الطريق المستقيم الذي لا سبيل للإنسان للنجاة من النار والفوز بالجنة إلا بقطعه بأمان وسلام.



﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وهذه الآية آية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم وإنها لتمثل منهج السلوك العام:

- خذ العفو.
- أأمر بالعرف.
- أعرض عن الجاهلين.

- خذ العفو: وهو خلق أصيل من خلاله يتم التجاوز عن نقص العباد، وغض الطرف عن نقصهم، وسعة الصدر في قبول الناس والحذر من التكبر والاستطالة على خلق الله.
- أأمر بالعرف: وهو خلق باعث على الحرص على تعليم الناس الخير، والسعي للإصلاح بين الناس، وإسداء النصيحة والتعاون على البر والتقوى، والزجر عن القبيح، والحث على تعليم العلم، والحث على الخير عموماً.
- أعرض عن الجاهلين: خلق التغافل عما تقابل به من الإعراض أو التولي أو السفاهة التي تصدر من بعض القوم، فهذا لا يدفعك إلى ترك الطريق ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ٧]، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠].

واحذر من نزعات الشيطان، فإنه لك متربصٌ، وتذكر ماذا لو ترك النَّبيّ ﷺ دعوة القوم لدين ربهم كنتيجة لأنهم قابلوه بالإعراض وبالسفاهات والجهالات والسخافات؟!.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تُبيّن هذه الآية وعورة الطريق؛ حتى لا نظن أن هذا الطريق ممهد، ولكن قد بث فيه العقبات وسبيل الإنسان أن يجوز هذه العقبات ويقطع هذا الطريق أن يتعرف على طبيعة هذا الطريق وما هي المهمة التي ينبغي أن أقوم بها وأنا أقطع هذا الطريق وأتعرف على كيفية التعامل مع هذه العقبات؛ حتى لا أسقط في أي عقبة من هذه العقبات، فعليَّ بالحرص التام وأنا أجوز كل عقبة من هذه العقبات خاصة والطريق قد مُلِئ بالسُفَهَاء على جانبيه يُحاولون محاولات مستمرة تخذيل الإنسان؛ لكي ينقطع عن هذا الطريق.

فكان لابد من حمل النفس وتأديبها على هذه الأخلاقيات، فهي أخلاقيات أصيلة ينبغي أن يربى عليها الإنسان ليستطيع مواصلة الطريق، وكان لزامًا أيضًا أن أزن معيار أدائي لهذا الخلق والسلوك للحصول على أرقى درجاته لأرقى من خلاله في سلم العبودية والإيمان.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [الأنفال: ٢٩].

عنوان السعادة والصلاح في الدارين: تقوى الله.

ثمرات التقوى:

١ – أعطاه الله العلم والهدى وهو النور الذي يفرق من خلاله بين الهدى والضلال والحق والباطل، والحلال والحرام.

٢ – تكفير السيئات.

٣ – غفران الذنوب.

٤ – أجر عظيم وثواب جزيل.

فما السبيل لكي أكون من المتقين؟

سبيلك لتنضم إلى فريق المتقين أن تشتمل على خلالهم وذلك من خلال الآيات التي وصف الله لنا من خلالها كيف أكون من المتقين، يقول سبحانه: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) ﴾ [البقرة: ٢ – ٤].

ويقول سبحانه: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى

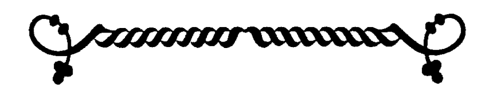
الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٥].

فهذا جانب من الآيات التي تبين جانب من صفات المتقين، فسبيلك للتقوى أن تمتثل هذه الخصال التي من اشتمل عليها كان من المتقين.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا سبيل إلاَّ السعي الدائم غير المنقطع لأن أكون من المتقين، وسبيلي في ذلك الوقوف على صفات المتقين كما وصفها الله تعالى، والقيام بحصرها ما استطعت، ثم وضع البرنامج العملي لكي صفة من هذه الصفات، وأضع البرنامج العملي والزمني لكل خصلة من خصال التقوى، فأُحدد معالم كل خصلة، وكذلك المظهر السلوكي لها مع وضع الميقات الزمني بدقة؛ حتى لا ينسلخ الوقت وينسلخ الطريق من تحت قدمي مع استصحاب الحافز الذي بينه الله لمن يلتزم التقوى، ومن أهم هذه الثمرات هذا النور والضياء الذي أستطيع من خلاله أن أميز بين الحق والباطل والهدى والضلال.



﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

يا لسعادة المرء لو وفّق لهذه الصفقة التي يعقدها مع ربه سبحانه؛ فإنها والله لتجارة لن تبور. وربك اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وكان عوض ذلك سلعة الله الغالية ألا وهي الجنة.

بنود العقد والمبايعة:

بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته سبحانه وإظهار دينه.

هل تفقه ما معنى هذه الصفقة؟

إن بعْتَ لربّك نفسك ومالك فلتقم بتسليم هذه السلعة المبيعة، فهذا المال المطلوب أن تخرجه من ملكك إلى مالكه الحقيقي وأن تنفقه في سبيل الله تعالى ونفسك تذب بها عن دين ربك سبحانه حتى لو بذلت نفسك وأهلكت نفسك دفاعًا عن الحق.

هل تجدون من يوفي بعهده غير ربكم؟!.

فهذا والله لهو العقد العظيم، فلا فوز أكبر منه ولا أجل ففيه السعادة الأبدية والنعيم المقيم.

الصفات التي تؤهلك لعقد هذه الصفقة مع ربك:

لابد من هذه التربية النفسية التي تتأهل من خلالها لعقد هذه الصفقة مع ربك سبحانه، التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون . . . .

ولا يوصف الإنسان بأي خصلة من هذه إلا إن كان ملازمًا لها فلا يسمى تائبًا إلا إن كان كثير العودة لربه وكثير الإنابة لا ينفك عن التوبة إلاَّ وتراه قائمًا في هذا المقام وكذا مع كل صفة من هذه الصفات.

فهنيئًا لمن اتصف بذلك، وهنيئًا لمن تأهل ليعقد الصفقة مع من لا يُخلف الميعاد.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

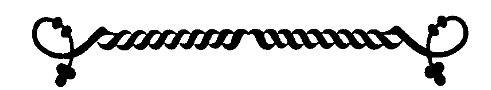
لابد من ترجمة حقيقية تقع في القلب بصورة صحيحة وواضحة وجلية ما معنى أني بعتُ مع ربي مع وضوح للمبيع الذي كان محل ذلك العقد.

فتعلمت أنَّ هناك خلال لمن أراد أن يبيع مع ربه وهذه الخلال سابقة لهذه الصفقة، بل لا يؤذن للإنسان بالتقدم لعقد هذه الصفقة إلاَّ بعد استيفائه لهذه الخلال.

وهذه الخلال عبارة عن بنود للتربية النفسية والتربية التطبيقية العملية والدافع الذي يدفع الإنسان لكي يكون من أصحاب الهمم العالية وعدم التقاعس، هو الإيمان ورؤية الإيمان ووقوعه في القلب بصورة صحيحة.

إذا تمّ البيع فلابد عندها من تسليم المبيع فليس لي حق التصرف في مالي ولا نفسي فإنهما أصبحا ملكًا لمولاي، فأتصرف فيهما تصرف العبد مع أوامر سيده.

فأين أضع المال وأين أضع النفس؟!، انظر إلى كلام مولاك.



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

هذا كتاب الله تعالى مرشد ودليل الإنسان وقائده في رحلته وسيره على طريق ربه المستقيم، ولا غنى للإنسان عن هذا الدليل طرفة عين؛ مخافة الضلال والزيغ، والله تعالى يرغّب العباد في إقبالهم على كتاب ربهم فيذكره بأوصاف حسنة ضرورية للعباد، فيصفه أنه موعظة من ربكم، والله يعظكم به لعلكم تذكرون، وينذركم من الأعمال السيئة الموجبة لسخط الله المقتضية لعقابه مبينًا آثار هذه المعاصي ومفاسدها.

ووصفه الله تعالى بأنه شفاء لما في الصدور، فلا علاج لأمراض الشهوات والشبهات إلاَّ بالقرآن والانقياد لأوامر الله تعالى، فإنه يُعالج قلب الإنسان ليكون راغبًا في الخير زاهداً مقلعًا عن الشر، ومظهر ذلك تقديم محاب الله على محاب النفس، وصار ما يرضي الله تعالى أحب إلى العبد من شهوات ومحبوبات النفس.

ووصفه الله بأنه هدى ورحمة للمؤمنين، وكان فضل الله على المؤمنين عظيمًا؛ فالمؤمن يفرح بكتاب ربه؛ لأنه من أعظم نعمه ومننه وإحسانه وإنعامه على عباده المؤمنين، وهو فضلٌ تفضّل الله به على عباده المؤمنين، فهو خير من متاع الدنيا ولذاتها؛ فالدنيا ومتاعها مقطوعة، أما القرآن فإنه يوصل الإنسان إلى متاع الآخرة وهو متاع باق لا زوال له. أهل الدنيا يفرحون بالدنيا ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر: ٨٣].

وأهل الآخرة يفرحون بكتاب ربهم ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فهذا كتاب الله الحق، فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال؟! فلا مرية ولا شكّ في ذلك بوجه من الوجوه، فلا سبيل للمؤمن إلاَّ اتباع ما أوحى الله إلى رسوله والعمل بما تقتضيه الآيات وليصبر فإن عاقبة الصبر حميدة، فلا تكسل ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٨، ١٠٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ولقد وصف الله تعالى لنا كتابه بأوصاف كثيرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]. وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

[الكهف: ١-٤].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني كيف أنظر إلى قلبي لأرى ما هي مكانة القرآن في قلبي، وفي أي موضع من قلبي تربّع هذا الكتاب، بل وأبحث أين مكاني أنا في القران كيف أجد نفسي في كتاب ربي، وهل فعلاً اعتمدت هذا الكتاب الذي اعتمده الله لنا كمرشد في حياتنا، وما إذا كنت أرى أوصاف هذا الكتاب في قلبي؛ ليظهر ذلك على سلوكي، وهل أجد فرحة حقيقية في قلبي بكتاب ربي لا تساويها الدنيا بما فيها لو وضعت أمامي وبين يدي، وهل فعلاً استطعتُ أن أعالج ما ألمَّ بي من أمراض الشهوات والشبهات التي لا دافع لها إلاّ بالقرآن.



﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾ [هود: ١١٢ - ١١٥].

المداومة والثبات على الطريق المستقيم، وحاجة الإنسان إلى التذكرة الدائمة وعدم غفلة الإنسان عن الطريق وعلامته وعدم غفلة الإنسان عن الهدف ولابد من تجلية الرؤية وإيضاحها بين الحين والآخر لإزالة أي عوائق أو علائق تعلق بالإنسان مع طول الطريق، وعلى ذلك علينا أن لا نتعدى حدود ما حده الله لنا من الاستقامة.

إن ربك بما تعملون بصير، ترغيب بسلوك الاستقامة وترهيب من ضدها، فالله لا يخفى عليه خافية من أعمالكم وسيجازيكم على ذلك؛ لذا حذر سبحانه من الميل إلى من تعدى الاستقامة، وهذا يتطلب النظر الدائم في الصحبة والرفقة التي اخترناها لنعبر معها الطريق، والحذر كل الحذر أن نميل إلى من مال عن طريق ربه المستقيم.

خير أدوات تُعين الإنسان على أن يستقيم في الطريق هو توطيد العلاقة بينه وبين ربه مع التذكر لهذا العهد والميثاق، فكان الأمر بالصلاة والمحافظة عليها، فإنها هي الحسنات الماحية ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وهي حسنات يمحو الله بها زلل الإنسان وهو يسير في هذا الطريق.

والأمر يحتاج إلى مجاهدة ومواصلة للطريق فكان الأمر بالصبر ﴿ وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

فلتحبس نفسك على طاعة ربك وعن معصيته؛ فربك لا يضيع عنده عمل عامل منا من ذكر أو أنثى، والله يحفظ لأوليائه أعمالهم وليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله .

فلتُرغب النفس إلى ما عند الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر : ١٠]، إنه صبر ساعات ونعيم سرمديّ، فمن يرد الله به خيراً يجعل له واعظًا من قلبه .

فلا تركن ولا تطمئن إلى نفسك بأنك تسير على طريق ربك المستقيم ، فلتحذر من طغيان الطاعة، فبصرك لا ينصرف عن خط النهاية، ولا تنظر خلفك فتطمئن إلى ما قدمت من طاعات إنما الأعمال بالخواتيم .

فسرْ على بركة الله وبصرك لا ينصرف عن رؤية الجنة؛ فلابد من وضوح الرؤيا ووضوح الهدف .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حاجة الإنسان الشديدة للمراجعة والتثبت من موضع قدمه، ولا يكتفي الإنسان أنه قد بدأ هذا الطريق بداية صحيحة لكن كل خطوة يخطو بها الإنسان على الطريق تحتاج إلى النظر والاهتمام والتثبت كما فعلنا مع الخطوة الأولى، وكان كل خطوة مرحلة مستقلة من المراحل التي يمر بها الإنسان .

وحاجة الإنسان إلى التذكرة الدائمة حتى لا يركن ولا يطمئن إلى نفسه أو سابقة أعماله، وإن الإنسان لو غفل لحظة واحدة لعادت نفسه إلى البغي والطغيان؛ لأن النفس مجبولة على ذلك . علّمتني أن لا أسلم الراية إلى نفسي .

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ [يوسف : ٥٣] .

احذر من النفس الأمارة بالسوء، فلا تطمئن لنفسك ولا تُحسن بها الظن فإنها لمتقلبة ومحركة لشهوات الإنسان في قلبه ، فنفسك هي مركب الشيطان ومنها يتسلل إلى داخلك .

﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ من رحمة الله بعبده أن يكفيه شر نفسه التي بين جنبيه وأن يوفقه إلى علاج نفسه حتى يقبل بها إلى أن تكون نفس مطمئنة وسبيلها في ذلك ذكر الله تعالى بلا انقطاع ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

والنفس المطمئنة هي النفس المنقادة لداعي الهدى متعاصية عن دواعي الردى .

إنّ بناء النفس على الاستقامة والصلاح أساسه العبودية الحقة لله وحده والإيمان به سبحانه، وبالدين الحق الذي ارتضاه لعباده ليكون لهم شرعة ومنهاجًا، وكلما ازداد الإيمان رسوخًا أثمر ثمراته اليانعة في تزكية النفس واستقامة السلوك، وليس الإيمان إعلانًا باللسان، بل هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

قابلية النفس للخير والشر:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾ [الشمس : ٧، ٨]، فطبيعة الإنسان قابلة للخير والشر، وطبيعة الإنسان أنه مجبول على حب الشهوات؛ ولذا يقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾ [السجدة : ١٣] .

ولقد وصفت آيات القرآن النفس بأنّ لها هوى وهو ما تهواه من مطالب وحاجات ومتع ولذات، والانقياد وراء الشهوات؛ ليحطم النفس ويأسرها ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣]. ونفس الإنسان لابد أن تلتزم وتنقاد لشرع ربها ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴿٤٠﴾ **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن: ١٦].

من دواعي النفس الخبيثة: ﴿ **لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾ [الفرقان: ٢١]، ﴿ **حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [البقرة: ١٠٩].

حب الإنسان لنفسه وتقديمها على غيره: ﴿ **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وربك مطلع على خفايا النفس: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

النفس الأمارة بالسوء: وهي نفس تدفع صاحبها إلى الشر وإبعاده عن الخير.

قصة أول قتل: ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠]، فنفسه زيّنت له الإقدام على هذه الجريمة وحسّنت له فعلها.

وهي مركب الشيطان ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد: ٢٥]؛ لذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**».

النفس اللوّامة: هي نفس المؤمن فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه، يقول الحسن:

هي والله نفس المؤمن ما يُرى إلاّ يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه.

النفس المطمئنة: هي نفس اطمأنت بإقامتها على طاعة الله فسلمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكّلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان، فلم ترضَ به بديلاً، وهي النفس التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وما أصابها لم يكن ليخطئها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الوقوف المستمر واللحظ المتواصل لعيوب النفس وآفاتها مع عدم النسيان أن هذه النفس لا تأمر إلاّ بالشر والسوء، ولا يطمئن الإنسان أنه عالج نفسه حتى أصبحت نفس مطمئنة، فيظن أنه أصبح يقودها، ولكنه إن غفل لعادت إلى طبيعتها؛ فإن المرء ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

فاحذر أن تترك العنان لنفسك لتقودك؛ فإن الإنسان لا يأمن أن تقوده نفسه إلى المعصية بعد الطاعة.



﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾
[الرعد : ٨ - ١٠]

هذا ربي الذي أعبده، فالله تعالى يُخبر بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء، والله تعالى ذكر لنا هذه المفردات لكي نتيقن من قلوبنا أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء، كما قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾
[المجادلة : ٧].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد : ٣، ٤].

كل شيء عنده بمقدار، لا يتقدم عليه شيء ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلاّ بما تقتضيه حكمته وعلمه، وهو سبحانه كبير في ذاته وفي أسمائه وصفاته ومتعال على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره.

سواء منكم في علمه وسمعه وبصره من أسرّ القول أو جهر بالقول سواء كان في مكان خفي أو داخل سربه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حاجة الإنسان المستمرة والملحة في أن يتعرف على ربه الذي يعبده ولا يظن أنه تعرف على ربه بصورة كافية تمنعه من طلب المزيد في التعرف على الله، والإنسان ما ينبغي أن يغفل عن علم ربه المحيط؛ فإنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، والغيب والشهادة عنده يتساويان فكما لا أغيب عن ربي بالنهار، فأنا لا أغيب عنه بالليل، ففي الآية التحذير الشديد من أن نظن أننا من الممكن أن نخفى على ربنا مع جنح الليل ودخول الظلام وتمكنه من الليل، فإن ورد ذلك الخاطر فهو لدليل على ظلمة القلب وفساد الاعتقاد.

فعلَّمَتْني كيف أُراقب خواطري لربي ليلاً كان أو نهاراً، ولابد أن أقيم مشهد علم الله المحيط في قلبي مما يدفعني أن أحرص على أقوالي وأفعالي وخواطري، فربي قدير وربي سميع بصير وأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً.





﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾
[الرعد: ٢٨، ٢٩]

لا زوال للقلق أو الاضطراب إلا بذكر الملك، حيث لا تطمئن القلوب إلاّ بذكره، وذكر الملك ليس عبارة عن ذكر باللسان، ولكن ذكر القلب لربه سبحانه، وهذا يتطلب معرفة العبد بربه معرفة يعمر بها القلب، ويكون منها إجلال العبد لربه وتعظيمه الذي يرى على ظاهره وسلوكه.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ لهم حالة طيبة ومرجع حسن، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة.

النفس الساكنة والقلب المطمئن:

هي نفس راضية بقضاء الله تعالى التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وهي النفس التي تبشر عند الموت، وعند البعث، وعند الجمع.

فهي نفس ساكنة زكية ثابتة مع الحق، فقد رضيت عن ربها ورضي الله عنها وأرضاها؛ ولذلك تبشر بمقعدها في الجنة ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٨ - ٣٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)﴾ [الأحقاف: ١٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾ [فصلت: ٣٠]، ولا سبيل للإنسان ليصل بهذه النفس إلى هذه الصورة إلاّ بتزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح؛ فهو قلب استنار بنور الإيمان فعمر بالإيمان.

هل سعادة الإنسان تكون بمعزل عن الدين؟ هل ترى أن الدين يدعو للكبت والحرمان من الحرية الشخصية؟!

نقول لعلماء النفس كلمة نهمس بها في أذنهم:

يجب أن تستفيدوا من الدين، وأن تلتزموا بقوانين الخالق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى هو أعلم بالإنسان؛ فهو الذي خلقه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

كم مرة تذكر ربك في اليوم والليلة؟ هل تذكره في أوقات دون أوقات؟ وهل تنشغل بدنياك عن ذكر ربك؟

هؤلاء لن يصلوا إلى طمأنينة القلب إلاّ إن كان لا ينفك عن ذكر ربه لا بالليل ولا بالنهار، فإن نام نام على ذكر ربه، وإن استيقظ استيقظ على ذكر ربه. هل تجد في قلبك قلقًا أو اضطرابًا؟ إن وجد فإنك لم تصل بعد إلى الدرجة المطلوبة لذكر ربك سبحانه.

قلت: إنه والله لعجيب أمر الإنسان يعلم الحق ولا يعمله، فهذه الآية قلبي يعلمها، ولساني ينطق بها، ولكن كيف يبعد الإنسان عن التطبيق، ذلك لأنني لم أضع هذا الأمر موضع التنفيذ، والتنفيذ يكون بوضع الخطوات ووضع البرامج الزمنية أطبق فيها هذا الأمر سواء من ذكر الله عن طريق اللسان أو عن طريق الجوارح.

فاصبح هدفي كيف الوصول إلى أن أكون ذاكرًا لربي ليلاً ونهارًا دون أن أملّ أو أسأم، فأنام على ذكر ربي وأستيقظ على ذكر ربي، فلا أرى إلاّ وأنا على ذكر ربي وأن أمارس معيشتي اليومية.

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الشيطان سبب لكل شر يقع في العالم، يقول لأوليائه وأتباعه عندما يجتمعون جميعهم في النار، قال لهم مخاطبًا ومتبرئًا منهم، يتبرأ أن جعلوه شريكًا مع الله، فيقول أنا لست شريكًا لله ولا تجب طاعتي.

فوالله إنها لرحمة من الله بعباده أن يطلعنا على ما لا سبيل لنا لكي نطلع عليه ونحن على ظهر الدنيا وفيها عصمة الله لأوليائه ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[فاطر: ١٤].

ما هو سلطان الشيطان علينا؟

لا سلطان له بالحق والدليل ولكن سلطانه على أتباعه بالإغراء على المعاصي لأوليائه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) ﴾ [مريم: ٨٣]، ولذا قال سبحانه: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤]. والإنسان هو الذي يسلط الشيطان عليه، فهو الذي أعطى للشيطان زمام الأمر ليقوده حيث أراد.

فما لي أراك أيها الإنسان وكأنك غير مصدق ربك؟

﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴾ [نوح: ١٣]، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

[الأنعام: ٩١]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

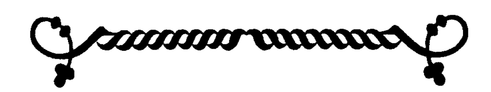
هل أنت مصدق ربك فيما قال؟ فماذا تنتظرون؟!

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حرص الإنسان البالغ في إظهار عداوته للشيطان يتمثل ذلك في معرفة وسائل وأدوات الشيطان التي يستعملها لإضلال العبد، بل لابد من حرب معلنة على الشيطان، واستحضار الإنسان لهذا المشهد يدفعه إلى الرغبة الشديدة في طلب مزيد من الطاعات والرهبة الشديدة أن يكون من أصحاب النار.

وعلامة ذلك أن يصدق بوعد ربه تصديقًا نراه بلسان الحال بالإضافة إلى لسان المقال.

فعلَّمَتْني أن أظهر عداوتي للشيطان وأجهر بها مع الحرص الشديد وآخذ حذري من مداخل الشيطان؛ حتى لا يتسلل إليَّ وأنا في غفلة فصممت أذني عن الاستماع للشيطان ونصائحه وإرشاداته وأغلقت قلبي؛ حتى لا يتسلل إلى داخله وفوق ذلك فإني قد استعنت بربي واعتصمت به، فإياه أعبد وإياه أستعين.



﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

تثبيت الله للمؤمنين في الدنيا ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

تثبيت الله للمؤمنين في الآخرة: عند الموت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

عند الفزع الأكبر: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علَّمَتْني هذه الآية أنه وما توفيقي إلاَّ بالله فتعلمتُ أن الإنسان لا يعتمد على مهاراته ولا أعماله ولكن قلبه يتوكل على الله، مع عدم التقاعس عن الأخذ بالأسباب مع يقيني أن ثبات الإنسان على الدين هو منة من الله تعالى.

وهذا أمرٌ نراه واقعيًا عند المآزق والأمور الشديدة الحرجة كيف يثبّتُ الله أهل الطاعات – في مثل هذه الأمور – اللهم ثبّت قلبي على دينك واصرف قلبي إلى طاعتك ولا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنّك سبحانك أنت الوهاب.



﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الحجر: ٨٨].

احذر من الدنيا وشهواتها وزينتها وزخرفتها، واحذر من النظر وإدامة النظر إلى المترفين.

قال تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ [آل عمران: ١٩٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾

[البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾ [القصص: ٧٦]. فإياك الاغترار بالدنيا كما اغتر بها الجاهلون.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الن لهم الجانب وحسّن لهم خلقك محبةً وإكرامًا وتوددًا.

انظر إلى لين القلب ورقته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[الفتح: ٢٩]

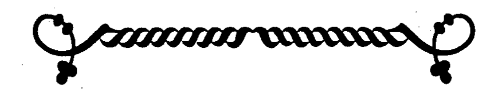
وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علَّمَتْني هذه الآية الحذر من الدنيا وأنها لأخاذة للنظر، وعلَّمتني أن أنظر إلى ما وراء الدنيا إلى ما وراء هذه الزينة التي ظهرت وبدت فيها الدنيا، فهل المتاع الزائل يُسمى متاعًا، وهل السعادة الفانية تُسمى سعادة.

وعلَّمَتْني أن أراقب قلبي وأنظر إليه وإلى ما فيه لأرى علامة رقة قلبي ولينه للمؤمنين، وما إذا كان ينطبق عليَّ أنني من الذين قال الله عنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فعلَّمَتني ما إذا كان غير موجود في قلبي أن أنظر كيف السبيل لكي أجعل هذا الرفق واللين من المعالم الأساسية في قلبي.



﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩].

أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده، واستمر على طاعة ربك حتى يختم لك بذلك، سبحان الملك القدوس، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة والكبرياء، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم.

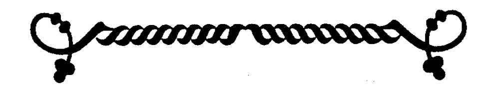
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وصية الله إليَّ أن أحرص على أن أموت على الإسلام، فكيف السبيل لذلك؟

أن أعبد ربي حتى يأتيني الموت، وأحرصُ على أن يُختم لي بعمل صالح.

فعلَّمَتْني أن أنظر إلى خط النهاية فلا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون.

اللهم أحيني على الإسلام، وأمتني على الإيمان.



﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [النحل: ٧٨].

آلات هي مفتاح كل علم، فلا سبيل للعبد أن يُحصِّلَ العلم إلاَّ من أحد هذه الأبواب الثلاثة.

سبيلك أن تشكر ربك على هذه الآلات، ونصرفها في طاعة الله.

بوابة العلم: «السمع، والبصر، والعقل».

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

بوابة العلم أن يكون عن طريق هذه الحواس التي هي من نعم الله تعالى:

السمع، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

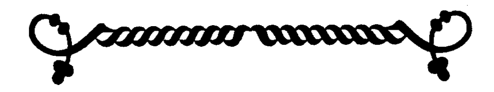
البصر، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

العقل، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

وهل تم استعمال هذه الحواس بكامل طاقتها أم صرفت لغير ما أُعطيت له.

فعلمتُ ونظرتُ إلى سمعي ونظرتُ إلى بصري ونظرتُ إلى لساني، ونظرتُ إلى جوارحي، وعلمتُ أن الله أعطانا إياها لكي نبصر الهدى.

فلتحذري يا نفس أن تعطلي الانتفاع بهذه الحواس التي هي منح من ربي تعالى.



﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩].

هل أنت ممن يطلب الدنيا ويقدمها على الآخرة أم ممن يطلب الآخرة ويقدمها على الدنيا ؟ فعلامات طالب الآخرة أنه يأخذ بكل سبب من الأسباب التي توصل للآخرة، وهذه الوسائل التي توصل للآخرة متمثلة في الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان شرط في صحة الأعمال وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلاّ بالإيمان؛ لأن الإيمان مقيد لها حيث أنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، ومن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فإنه ليحيا حياة طيبة مظهرها طمأنينة القلب وسكون النفس وعدم الالتفات إلى ما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقًا حلالاً طيبًا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فهل أجد في قلبي معلم طلب الآخرة، وهل فعلاً الآخرة همي وشغلي الشاغل أم لا؟ فلا يجتمع طلب الدنيا وطلب الآخرة في قلب إنسان إلاّ وكانت إحداهما طاردة للأخرى، فعلّمتْني أن أفتش داخل قلبي؛ لأنظر أيهما أحب إلى قلبي الدنيا أم الآخرة، بل وأيهما أغلب في قلبي، فالأمر لا يحتاج إلى تمييع للقضية، بل لابد من القطع فيها والحزم والجزم، فكان لزامًا أن أتحقق من قلبي لأنه يقينًا لا سبيل للإنسان لكي يحيا الحياة الطيبة إلاّ من خلال تحقيق الإنسان للشروط التي تؤهله لهذه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وهذا لا يتم إلاّ من خلال التلازم بين الإيمان والعمل الصالح وأن منطلقي للعمل الصالح ينبغي أن يكون من خلال ركيزة إيمانية صحيحة، فكان لزامًا أن أنظر إلى معالم هذه العقيدة في قلبي .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠].

هل أنت موقن بلقاء الله تعالى؟ وهل أنت موقن أنك موقوف بين يدي ربك وأنك مسؤول؟ قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف: ٤٨].

فماذا أعددت للقاء ربك غدًا؟ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) ﴾ [طه: ١٥].

فهل أنت تحب لقاء ربك فما زلت تتقرب إلى ربك بالنوافل بعد إتمامك لفرائضه، وهل أنت ممن ينادي ربك جبريل بشأنه فيقول له إني أحب فلان فأحبه، فعلامة استعداد الإنسان للقاء الله يتمثل في سعي الإنسان لتصحيح الاعتقاد وإخلاص العبادة لله تعالى.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علمتني هذه الآية أنني لابد أن أتهيأ وأتأهل للقاء ربي غداً، وعلامة ذلك هو عدم الانفكاك عن الأعمال الصالحة مع الصيانة التامة لإيماني ورعايته، والحرص الشديد على إزالة أي معلم من معالم الشرك تصدع هذا البنيان، وهذه الآية كان من معلمها أن قلبي كاد يطير شوقًا إلى ربي، فلقد اقترب الموعد وحان وقت اللقاء فيا نفسي ماذا أعددت للقاء ربك غداً، فهل انشغلت بغير هذا اللقاء.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

ففي الآية الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وملازمتهم، ففي صحبة أهل الطاعة فوائد ومنح في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تصرف بصرك عن أهل الطاعة والإيمان فاحذر أن تجاوزهم ببصرك إلى غيرهم. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فالدنيا مُزيّنة وإنها لتروق للناظرين وتسحر القلوب فمن وقع في أسرها لغفل عن ذكر ربه تعالى فتراه مقبلاً على الملذات والشهوات فينفرط عند ذلك أمره ويضيع وقته.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فلأفتش في رفقائي فلا مصاحبة إلاّ لأهل الإيمان والطاعة فإني لا أجد منهم إلا كل خير، بل وإنهم والله ليرشدونني إلى كل خير.

فتعلمت توطين النفس على الصبر خاصة على رفقة الصحبة الصالحة مع اليقين أن الشيطان سيحاول محاولات مضنية على إفساد هذه العلاقة، ولكن الصبر على هذه الصحبة؛ لأنه لا سبيل لقطع الطريق إلى الجنة إلاّ من خلال هذه الصحبة المؤمنة وتعلمتُ أن أغمض عيني عن الدنيا، وما ازَّيّنت به فكأنها ظهرت في صورة حسنة ولكنها تخفي صورتها القبيحة، وعلمتني أن أحذر من النظر إلى الذين انشغلوا بدنياهم عن طلب الآخرة، وعلمتني أن أقول للدنيا أنك مهما ازَّيّنتِ يا دنيا فأنا أراكِ من وراء زينتكِ، فغري غيري فإليك عني.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾

[مريم: ٣٩، ٤٠].

فهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم الذي لا يخطر بقلوبهم، فلقد عمتهم الغفلة وشغلتهم الدنيا وشملتهم السكرة، فهم لا يؤمنون بالله ولا يتبعون رسله.

قد ألهتهم دنياهم ﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾

[يونس: ٧، ٨].

وشهواتهم حالت بينهم وبين الإيمان، ألا يعلمون أن الله يرث الأرض ومن عليها، فهذه دنيا فانية وشهوات منقضية فانية زائلة ليست بباقية.

يوم الحسرة: ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾ [الأنعام: ٣١، ٣٢]، ويقول سبحانه: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

لا نملك إلاّ أن نقول: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴾ [يس: ٣٠].

أين المفر؟ أين تذهبون؟ إلى الله مرجعكم جميعًا.

هل تظن أنك مبعوث من بعد الموت؟

وهل تظن أنك ملاق ما أنت فاعل في الدنيا؟

وهل تظن أنك موقوف مسؤول عن عمرك فيما أفنيته؟

فلماذا لا تعمل؟ فلِمَا كان التقاعس ؟

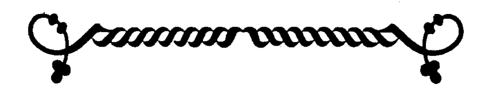
فماذا أعددت للقاء ربك غداً؟

ماذا تقول لربك عندما تقف بين يديه ليس بينك وبينه ترجمان؟

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علَّمتني كيف أرى يوم القيامة وكيف أرى الحسرة والندامة على وجوه العصاة والمكذبين، وكيف أرى هذه الوجوه الكالحة التي أرهقتها الذنوب والمعاصي.

فكان معلم هذه الآية أن أصحح التصورات عن اليوم الآخر مع تصوير هذه المشاهد في قلبي، وكأني أراها رأي عين وأرى هذه الحسرة من خلال ما فقدنا من لحظات لم نعمرها بطاعة الله، فهي لحظات افتلتت لا عودة لها ولقد خطفت منا في غفلة فترى القلب وقد اعتصر أسفًا على تفلت هذه اللحظات، فكان أثر ذلك في الجد والاجتهاد في استقبالي لما هو آت من لحظات العمر المقبلة تعويضًا لما سبق وتعميراً لما هو آت مما بقى من أعمارنا فقد مضى وقت الغفلة واللعب.



﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٧٠ – ٧٣]

الخضوع للحق والعاقبة للمتقين، ظهور الحق وسطوعه وإبطال الباطل والمكر والكيد، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، والموازنة بين الدنيا والآخرة وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

كيف يرى المؤمن الدنيا؟ وكيف يتعامل مع السنن الكونية؟

لمن يكون البقاء وعلى من يكون الفناء؟!

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حلاوة الإيمان وتذوق طعمه، وهذا الأثر البالغ في معالجة الأمور، فليس لشيء أثر في تغيير النفوس كالإيمان إذا تمكن من القلب، فإن الخوف ينزع من القلب إذا تمكن الإيمان في القلب، وصدق اليقين أن الدنيا إلى انقضاء ورغبة الإنسان الأكيدة فيما عند الله وأنه لا ينال إلا بطاعته، وعدم تخلي الإنسان عن دينه حتى لو كان مقابل ذلك فقدانه للدنيا ومفارقة الأهل والأولاد والأموال والديار، فلا يرضى بربه وجواره بديلاً.

فعلمتني هذه الآية أن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، وإذا ذاق القلب طعم الإيمان لهانت الدنيا، فلا وزن لها ولا قيمة لها أمام ما يجد الإنسان من حلاوة وسعادة لا انقطاع لها.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

كيف بكم عندما تعرضون على الملك الحكم العدل الذي حرم الظلم على نفسه، فربك يقضي بين عباده يوم القيامة بالقسط لا ظلم اليوم.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

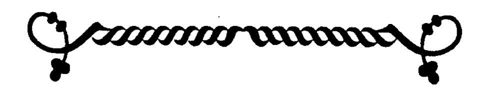
والمؤمن مطمئن فما عند الله لا يضيع، فإنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: **«يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه»**.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ميزاني لا يفارقني، أزنُ قولي، أزنُ فعلي، أزنُ حركاتي، أزنُ همساتي، أزنُ أحوالي، زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فلا كلام ولا أفعال بلا ميزان.

فتعلمت من هذه الآية أنني قبل أن أُطلق إلى القول أو الفعل أضع ذلك أولاً في الميزان.



﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

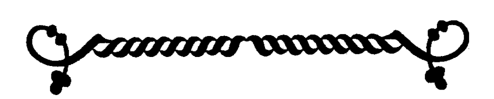
لا سبيل إلاّ بإدخال الإيمان للقلوب ومخالطة الإيمان للقلب وامتزاجه به، لابد من التعرف على ما كتب الله علينا من الابتلاء والحكمة من الابتلاء وتوطين النفس وكيف أحقق العبودية لله من خلال ما قدرّ عليّ.

وفساد المعيار يكون نتيجة لفساد الاعتقاد، يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التعرف على السنن الكونية، ومن الظن الخاطئ مقياس سخط الرب ورضاه بعطايا الدنيا، ومعدن الإنسان لا يظهر إلاّ من خلال الابتلاء وكيفية تصرفه في الابتلاء وتوطين النفس على تحمل المكروه وأنني عبدٌ لله في الرخاء والشدة، في الصحة والمرض، في الفقر والغنى.

فتعلّمتُ أنّ الإيمان ينبغي أن يمتزج بقلبي، وأن يتعرف قلبي على سنن ربي الكونية، وتوطين نفسي أن أتعامل مع قدر ربي بالرضا والتسليم.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

لا طريق للفلاح إلاّ بالإخلاص في عبادة الخالق، والقيام لله بأمره ودعوة الخلق إليه بكل طريق موصل إلى ذلك من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ وغير ذلك.

كفاك فخراً، أنّ ربك اصطفاك لهذا الدين واختارك لهذا الدين، وأن ربك رفع عنّا العناء والمشقة، فيسّر لنا أمر هذا الدين وسهله لنا.

هل ترضون بغير ربكم معينًا ونصيراً؟

فعليكم أن تعتصموا بربكم، فامتنعوا به وتوكلوا عليه، ولا تتوكلوا على حولكم وقوتكم فهو نعم من يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقديره، وعليكم أن تتموا مافرض الله عليكم من العبادات وأن تُحسنوا إلى خلقه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني أنه لا سبيل إلاّ أن أكون وليًا من أولياء الله، ولا سبيل لذلك إلاّ بالاعتصام بالله وأن أكون متوكلاً على ربي مسلمًا له أمري وجميع شاني مُسْلمًا له في تدبيره لشئون حياتي، فكان لابد أن أبحث وأدقق ما هو السبيل لكي أكون وليًا وما هو الطريق إلى الولاية؟

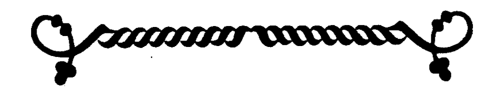
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾ [المؤمنون: ٥١].

رزق ربك نقابله بالشكر المتمثل في العمل الصالح.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

أن نُطيب المطعم والمشرب والملبس؛ فالعمل الصالح موقوف على الكسب الحلال، وعلاقة طعام الإنسان وشرابه وملبسه بالعبادة.

حياة الإنسان منظومة متكاملة لا فرق بين الدعاء والصلاة وبين الطعام والشراب، فلا يطلب ما عند الله إلاَّ بطاعته، فعلَّمَتْني أن أُفَتّش في مالي الذي أكتسبه وهل أكتسبه من سبيل مشروع أم لا، حيث كل أمري يتوقف على طيب المكسب، فلا اغترار بكثرة العبادة، ولكن السبيل الأول من أين اكتسبت مالي، فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا.



﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

مسلك الإنسان مع كتاب ربه وسُنَّة رسوله ﷺ لدليل على إيمانه، فهل أنت مُلتزم بالإيمان بلسانك وقلبك أم بلسانك دون قلبك؟ بيان ذلك بالتطبيق العملي.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فمعلم هذه الآية أنها تتكلم عن مسلك الإنسان مع كتاب ربه وسنة رسوله ﷺ وأن هذا المسلك لهو الدليل على صدق الإيمان من عدمه، فالمؤمن يحكم كتاب ربه وسُنَّة رسوله ﷺ في كل ما يعرض له ولا يرضى بهما بديلاً لأنه سبيل الفلاح والفوز في الدارين وهو سبيل السعداء.

فعلّمتني هذه الآية أنه لابد من عرض أقوالي وأفعالي وأحوالي على كتاب ربي وعلى سُنَّة رسوله ﷺ؛ لأرى مدى استجابتي لكتاب ربي وسُنَّة رسوله ﷺ وهل أنا فعلاً مُسلِّم تمامًا لربي منقاد لأوامره ونواهيه، خاضع لربي منكسر بين يديه، أم أنا ممن يعبد الله على حرف، ولا يتحكم فينا ولا في سيرنا إلاّ الهوى؟

فكان لابد من تصحيح المسار فهو طريق واحد لا ثاني له، وهو مسلك منفرد لا ثاني له، و هو طريق الاستقامة مع كتاب ربي سبحانه ومع سنة رسوله ﷺ.

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ [النور: ٦٣].

احذر المخالفة، احذر الاستهانة بسنة النّبيّ ﷺ، فالإنسان لا يأمن على نفسه الكفر بعد الإيمان والضلال بعد الهدى.

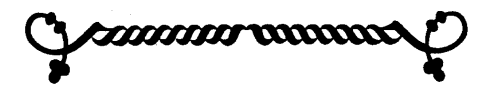
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قضية الاتباع وهذا الحس الإيماني لهذه القضية والتحذير من المخالفة لسنة النّبيّ ﷺ في أي أمر، صغيراً كان أو كبيراً.

والتحذير من الاستهانة بسنة النّبيّ ﷺ أو الزهد فيها، فالطريق لا نأمنه لمن حاد عن سُنَّة رسول الله ﷺ أو كان زاهداً فيها.

ومعلم هذه الآية أن لا نفرق بين ما جاء به النّبيّ ﷺ هذا واجب وهذا مسنون وهذا لا نأثم بتركه، فالمؤمن مجتهد في محاكاة النبيّ ﷺ لكي يثبت قضية الاتباع، فلا يفرق بين ما جاءت به السنة؛ فكله دين.

فتعلّمتُ أن أكون أبعد ما أكون عن مخالفة الحبيب محمد ﷺ، وتعلّمتُ عدم الزُّهد في سُنَّة الحبيب محمد ﷺ، وتعلّمتُ كيف أوطِّنُ نفسي على الاقتداء بالحبيب محمد ﷺ في أقواله وأفعاله.



﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

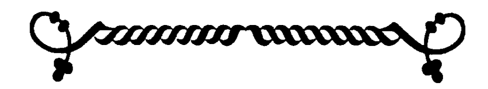
فتوكل على ربك في كل أمورك، سواء المتعلقة بك أو بالخلق، ولا يفتر لسانك عن ذكر ربك.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذا ربي الذي أعبده وأتوكل عليه ورؤية الحقيقة؛ حتى لا يتعلق القلب في كل أموره إلاّ بربه سبحانه، و علامة ذلك أن لا يفتر عن ذكر ربه والحذر من الوقوع في المعاصي فربك خبير.

فقلبي لا يعتمد على غير ربي – فإياك نعبد وإياك نستعين.

فاقبلت بكليّتي بقلبي وجوارحي على ربي، وفتشت في قلبي لإزالة أي عائق يعوق سيري إلى هذا الطريق، أو أجد في خفايا القلب بقايا من التعلق بغير ربي الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.



﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ⑧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑨ ﴾ [الشعراء: ٨، ٩].

فاعتبروا يا أولي الألباب الذي آمنوا.

هل وقفت على سبب هلاك الأمم السابقة؟

هل وقفت على كيفية إعراضهم عن صراط ربهم المستقيم؟

هل رأيت كيف غرتهم الأماني؟

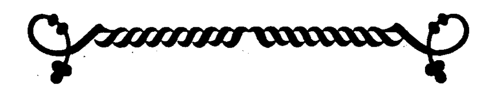
فربك هو القوي المتين وهو القاهر فوق عباده، وهو سبحانه ذو رحمة واسعة بعباده خاصة المؤمنين منهم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

القراءة في السنن الكونية والاعتبار والاتعاظ بما حدث للأمم السابقة، ولابد من ترجمة ذلك ترجمة واقعية في القلب يعرف ذلك من خلال الحذر أن نسلك نفس مسلك هذه الأمم فنهلك كما أهلكهم الله.

فالسعيد من وُعظ بغيره، فلتعتبر بغيرك وإياك أن تكون عبرة لغيرك وعبرة للمعتبرين.

فتعلمتُ أن أستفيد وأعتبر بأحوال السابقين واحذر أن أقع فيما وقع فيه القوم فأهلك كما هلكوا.



﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٤].

في أحيان كثيرة يكون جحد الإنسان للآيات ليس مستند فيه على دليل ولو هو من باب الشك والريب وإنما جحدهم مع علمهم وتيقنهم بصحتها ظلماً منهم لحق ربهم، ولأنفسهم.

وعلواً على الحق وعلى العباد وعلى الانقياد للرسل.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

احذر العناد والكبر، فإنها أمراض قاصمة، وعلاج ذلك أن تتيقن وتوقن في كل لحظة أنك تعامل ربك فلتدفع ذلك الكبر عنك ولتترك هذا العناد فإنه لا يضر إلاَّ صاحبه.

وهل دفع فرعون إلى الكفر بربه إلاَّ العناد والاستكبار؟ وهل طرد إبليس من الجنة إلاَّ بالكبر؟

وهل خُسف بقارون إلا بسبب عتوه وكبره.

فيا نفس توبي إلى ربك وتعلمي واتعظي بغيرك.

فتعلمتُ أن أُفتش في قلبي وفي خفايا القلب مخافة أن تكون ذرة من الكبر تسللت إلى قلبي في غفلة مني، فسكنت في خفايا القلب، ولابد من تعاهد القلب وكذلك الأعمال الظاهرة.



﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص : ٨٣] .

انظر جزاء التواضع لعباد الله تعالى وعدم الاستطالة على خلق الله وكيف يفعل الانقياد لله تعالى بأهله، فهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حب الإنسان للحياة، وحرصه على الترأس والتربع والتسلط قد يكون ذلك هي القاصمة، فلا يكون للإنسان نصيب في الآخرة؛ كنتيجة لتسلط هوى الإنسان على نفسه .

وهذا معلم تراه أنت في قلبك دون غيرك؛ فقلبك مرآة لابد أن تكثر من النظر فيها، ولابد من إزالة أي غبار يعلق بقلبك؛ حتى لا تحجب عنك الرؤية .

فتعلمت من هذه الآية استدامة النظر إلى قلبي وصقله دومًا وإزالة أي شائبة تعلق بهذا القلب؛ لأن الطريق إلى الجنة والرضوان موقوفة على تقوى الإنسان لربه تعالى .



﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ③ ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

لابد من اختبار الإيمان ولا يصلح إدعاء بلا بيّنة، والنظر إلى الحكمة من الابتلاء أنه بغرض التمييز، فلا يميز بين المؤمن الصادق في إيمانه وبين مدعي الإيمان إلاّ من خلال ما قدر الله من الابتلاء والتيقن من سنن الله الجارية على عباده.

والابتلاء قد يكون بالسّراء، وقد يكون بالضراء، قد يكون بالغنى، وقد يكون بالفقر.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الحكمة من الابتلاء لابد من اليقين من سنن الله الجارية، وأنه لابد من اختبار الإيمان، هل أنت مستعد للاختبار؟ ولابد من التذكر الدائم لسنن الله الجارية وتوطين النفس على كيفية التعامل مع هذا الابتلاء. ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

دعوة للتماسك والصبر والاحتساب رجاء الأجر والثواب من الله تعالى، فتعلمت كيف أري قلبي الحكمة من الابتلاء وأن أنظر إلى ما وراء هذا الابتلاء من حكم ومنح ورحمات مع عدم الغفلة عن سنن الله الجارية مع السعي الدائم لتوطين النفس على الصبر وعدم الجزع مع رؤية القلب لمنح الرب سبحانه لمن كان صابراً محتسباً.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

من نعم الله على الإنسان الزوجة وهي صورة لعناية الله بعباده، وجعل الله بين الزوجين أساس العلاقة مبناها على المودة والرحمة.

بالإضافة إلى متاع أحله الله لنا من قضاء الشهوة والأجر على ذلك.

وهي آيات تستحق التفكر فيها؛ لكي نؤدي شكرها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قيمٌ لابد من رؤيتها في قلب المرء وفي سلوكه، المودة والرحمة، وحاجة الإنسان إلى تلك القيم حتى في تعامله مع الحيوانات.

وهي قيم وأسس في التعامل مع الزوجة أو غيرها، فهي القيم الموجودة بين المسلمين.

فتعلمتُ كيف أنظر في أعماق قلبي لأنظر إلى هذه القِيَم، وقد استقرت واحتلت مكانها في قلبي؛ ليظهر هذا جليًا على سلوكياتي وظاهري.



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان : ٣٣].

يأمر الله عباده بالتقوى وهي وصية الله للأولين والآخرين، وهو العمل بالواجبات وترك المحرمات، ولابد أن تكون أحداث اليوم الآخر نصب عين الإنسان فلا ينصرف بصره عن روية الآخرة، وأن كل عبد مسئول عما قدم، فكل إنسان مرهون بعمله فلا يعتمد الإنسان على صلاح والديه، و لا يعتمد الوالد على صلاح الأبناء، ولكن كلٌّ موقوف مسؤول بين يدي ربه ينظر يمينًا وشمالاً فلا يجد إلاّ ما قدم، وإياك والاغترار بالدنيا، فقد ينسى الإنسان لقاء الآخرة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة :

رؤية الآخرة ولابد من تصحيح هذه التصورات عن اليوم الآخر في القلب ولا تنفك مشاهد الآخرة عن قلبي، ولا تتخلف عن لحظات الإنسان، وليوطن الإنسان نفسه أنه على استعداد لاستقبال الموت، فليعتمد على ربه ويتوكل عليه ولا يغتر لا بماله ولا ولده، فإنه مفارقهم.

وتعلمت من الآية عدم الاغترار بالدنيا وعدم الانبهار بزينة الدنيا وزخارفها، ولابد لقلبي أن يكون مصدقًا وعد ربي إن كان وعد ربي لمفعولا.

وهو يوم الفرار، فكل نفس بما كسبت رهينة، فيا دنيا إليك عنّي.



﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [السجدة: ١٥، ١٦].

هذا هو المؤمن وهذا حال المؤمن في استقباله واستماعه إلى آيات ربه، فإذا تليت عليه الآيات نرى الاستجابة الفورية والانقياد لما دلّت عليه الآيات فخرّ خاضعًا لها متواضعًا حين تلقى الآيات بالقبول وانشراح الصدر.

ومن حال المؤمنين أنهم لايخلدون إلى الراحة ولكن راحتهم في ذكر ربهم وإتعاب البدن في طاعة الله شغلهم الخوف من ربهم ومن عذابه عن طلب ملذات النفس، ولا يضنون بأموالهم، ولكن ينفقونها في كل وجه خير وبر.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علاقة المؤمن بكتاب ربه ومكانة القرآن في قلبه وأنه لا إزالة للهموم والغموم إلاّ بالتعايش مع كتاب الله، والمؤمن يُعرف بتسبيحه لربه تعالى بلا فتور ولا سآمة ويرى أثر هذا التسبيح على سلوكه من خلال استسلامه وخضوعه لربه ليرى متواضعًا متمسكًا. وترى المؤمن واقفًا دومًا بين مولاه يناجيه.

فتعلمت من الآية أن أنظر إلى قلبي وجوارحي ومدى تأثرها بآيات الله عند الاستماع إليها أو تلاوتها وأن هذا التأثر لدليل على جودة الاستماع وصحته، فإذا لم أجده لعلمت أن هذا كنتيجة لخلل في الإيمان فهو معيار أقيس ما أنا عليه من إيمان لكي أقوم بتصحيح ذلك الخلل إن طرأ عليّ قبل فوات الأوان.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

النساء شقائق الرجال.

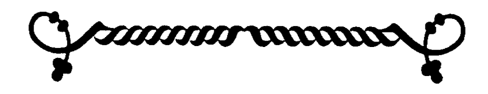
وهذه الآية لتمثل سبيل الإنسان لطلب المغفرة من ربه وطلب الجائزة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

خلال لابد أن يتمثلها الإنسان في حياته ولا سبيل في سيره للصراط المستقيم إلا من خلال اشتمال المسلم على هذه الخلال.

فانا المسلم المؤمن القانت لربي الصادق في إيماني الصابر على الطاعة وعلى مقادير الخالق، الخاشع المنكسر الخاضع بين يدي خالقه، المتصدق مما رزقني الله المتعبد لربي بالصوم، فادع طعامي وشرابي وشهوتي من أجل ربي، الحافظ لحدود ربي الذاكر لربي بلا سآمة ولا فتور.

إنها معايير وموازين لا تنفك عن الإنسان؛ لأنها من خلالها أصحح المسار وأعدله.



﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

تنبيه على كمال الرسول ﷺ ومكانته العالية وعلو شأنه عند ربه سبحانه وعند خلقه، وكيف أن الله رفع ذكره. ولقد أمرنا الله تعالى بتعظيم النّبيّ ﷺ وتكريمه ومحبته وتوقيره واحترامه، فأوجب علينا سبحانه أن نصلي على رسولنا الكريم، بل نجد أن الله تعالى جعل لنا من تمام الصلاة وكمالها أن نصلي قبل أن ننصرف من صلاتنا على الرسول الأمين المجتبى ﷺ.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

أين صلاتك على النّبيّ ﷺ؟ وما هي خطتك التي رسمتها للصلاة على النبي ﷺ؟، كم مرة في اليوم والليلة تصلي فيها على رسولك الكريم ﷺ؟، فإنها سبيلك لكي يزيل الله همك ويكفيك ذلك في الدنيا والآخرة، فصلاتك على النَّبيّ ﷺ ومواظبتك على ذلك دليل على محبتك لرسولك ﷺ واعترافٌ بفضله علينا. قلت لنفسي فما هو برنامجي في الصلاة على النَّبيّ محمد ﷺ؟. فأنا لا أغفل أن أصلي على الحبيب محمد ﷺ عند سماع الأذان وعند الدعاء، ولا أغفل عن الصلاة على الحبيب محمد في كل أوقاتي صباحًا ومساءً، ولكن علمت أنه لا سبيل لتحقيق ذلك إلاّ من خلال برنامج معد ومحدد، فكان سعي في وضع هذا البرنامج الزمني لكيفية الصلاة على النَّبيّ ﷺ ومتى ذلك، وتعلمت أن يكون لي وردًا مع أحاديث النبيّ ﷺ، فما من يوم يمرُّ عليَّ إلاّ وقد قرأتُ في أحاديث النبيّ ﷺ؛ لأتعلم من خلالها وأهتدي وأقتدي بهديّ الحبيب المصطفى المختار صلوات ربي وسلامه عليه.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤) ﴾ [سبأ : ٥٤] .

إذا حيل بين الإنسان وبين شهواته التي أمضى من خلالها حياته في الحصول عليها وتحصيلها من لذات ومن مال وأولاد .

ولك العبرة فيما سبقك من الأمم السابقة، كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام آمين ونعمة كانوا فيها فاكهين .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

عدم الغفلة عن المعاد ومتى أقبلت علينا الدنيا بمباهجها وزينتها، فلا تغتر وعدم فقدان الرؤية الصحيحة لزينة الدنيا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا .

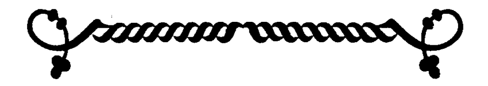
فلا أنشغل بالفاني عن الباقي .

إياك أن تنشغل وتفرح بالدنيا وتغفل أنها ليست بملكك، فلا تتصرف فيها تصرف المالك، ولكن تصرف العبد المملوك الأمين .

فماذا تنتظري يا نفسي .

انتظر الموت ولقاء ربي .

فمن أجل ذلك فاعملي .



﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

العزة بيد الله جميعًا فلا تطلب إلاّ بطاعته، ولتنتبه إلى ما يرفع من أعمالك وأقوالك إلى ربك فهذا يدفعك إلى تجويده وتحسينه وتزيينه، وهي سبيلك لتنال الرفعة عند ربك.

وفي المقابل: إن سبيل من يفعل السيئات فإنه لا تفتح له أبواب السماء بل يرد هذا المكر على أهله.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إن الشعور بالعزة إن أتى إليك بغير سبيل الطاعة فهو شعور مكذوب، فالعزة في طاعة الله وحرص الإنسان أن لا يرفع إلى ربه من العمل إلاّ المجود الموافق لمنهج النبوة والحرص على العمل الصالح بصفة عامة من تسبيح وقراءة للقرآن وتحميد وتهليل، وكل كلام حسن طيب وكل عمل صالح من أعمال القلوب والجوارح.

فهل في كل لحظة ترى ما يرفع من عملك إلى ربك؟ وهل أنت حريص على الأعمال التي ترفع إلى ربك؟.

فتعلمت من هذه الآية مراقبة الأعمال وملاحظتها قبل أن ترفع وتُعرض على الملك الديان، وتعلمت منها أن العبد ينبغي أن يستحي من ربه أن يرفع من عمله ما يستحي منه. فسبيل العزة لا يرى إلاّ من خلال تنفيذ الإنسان للعمل الصالح الذي منطلقه من الإيمان.

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨) ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٨].

وصية ربكم إليكم أن تحذروا من الشيطان فلا تطيعوه، وإنه غير مخف لهذه العداوة ولقد أنذرنا الله طاعة الشيطان وأخبرنا ربنا برحمته إلى ما يدعونا إليه الشيطان، وفي المقابل أمرنا سبحانه بطاعته وعدم الخروج عن أمره، فعبادته وطاعته ومعصية الشيطان هي الصراط المستقيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

النظر إلى جوارحي إلى جلدي ويدي ورجلي وسمعي وبصري، والتأمل في هذه الأعضاء فلو نطقت فما ظنك أن تقول وهل تشهد لي أم عليّ وهل هذه العيون التي أعطاني الله سيكون إبصارها قويًا لكي ترى هذا الصراط عند السير عليه، إن جلاء العينين يكون بالنظر إلى آيات الله سواء الكونية أو المتلوة.

نظر الإنسان إلى قوته كيف نشأت من ضعف وكيف ستعود إلى ضعف، آيات نفسية يستصحبها الإنسان دومًا.

فتعلمت أن أكثر من التأمل لأعضائي وجوارحي ولا أجعلها ترى مني إلاّ كل خير لتشهد لي عند ربي سبحانه، فتعلمت أن أجهدها في طاعة الله.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وكان حقًا علينا نصر المؤمنين، فليبشر أهل الإسلام أن العاقبة لهم فقضاء ربك نافذ، فهو الملك سبحانه، فجند الله هم الغالبون وهم المفلحون.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل أنا فعلاً منضم إلى حزب الله إلى جند الرحمن، علامة ذلك طاعتك لربك، إن الانضمام لا يكون بالتمني ولا التشهي، ولكن واقع الحال هو الذي يصف ذلك.

لقد قضى ربك أن تكون العاقبة للمتقين، فإن تخلف التمكين فأين الخلل؟ في إيمانك الذي تحمله بين جنبيك، فوعد الله لا يتخلف.

فتعلمت من هذه الآية أنه لابد من تحقيق ما اشترط الله علينا لكي يحقق لنا المشروط، فإن تخلف الوعد نتيجة لعدم تحقيق الشروط، مع يقيني الذي لا يزعزع أن العاقبة للمتقين.



﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص: ٨٦ - ٨٨].

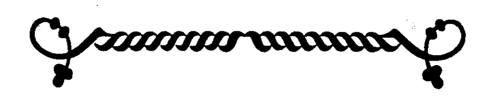
عمل الإنسان لابد أن يكون خالصًا لله خاصة الدعوة لدين الله وعدم التكلف للمدعوين ولكن الوقوف مع آيات الله وعدم التعدي لحدود ما أعلم فالعصمة في اتباع الوحي، وبيننا وبينكم يوم القيامة حيث تجتمع الخصوم عند ربها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التدقيق في أن العمل في دعوة الخلق لدين الله ليس بغرض التكسب ولكنه عمل خالص لله، وضبط السلوك الداخلي في عدم التعدي لحدود ما أنزل الله، ولا نستحي أن أقول لما لا أعلم لا أعلم، وأفوض علم ذلك إلى ربي، عدم الغفلة عن رؤية اليوم الآخر خاصة في اجتماع الخصوم فلتسعَ أن تبرأ الذمة مما علق بها من حقوق العباد.

فالعمل ينبغي أن يكون خالصًا لربي لا نبتغي به رياء ولا سمعة ولا ثناء ولا مدح من الناس وهذا ما أعزه وأندره.

فتعلّمتُ أنّني ينبغي أن يكون لي نيّة صالحة مع كل عمل وأن أُخْلص في عملي في دعوة الخلق لله تعالى، لا أبتغي به أجرة من الناس ولا رياء ولا سمعة ولا مدح ولا ثناء.



﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨ ﴾ [الزمر: ٨].

انظر إلى كرم الله بعبده وإحسانه وبره، وانظر إلى عدم شكر العبد لربه سبحانه، انظر إلى حال الإنسان غالبًا ما يكون غافلاً عن ذكر ربه عند السراء أما في الضراء (مرض أو فقر أو وقوع في كربة) يلجأ إلى ربه، لماذا؟ لأنه يعلم أنه لا ينجيه من ذلك إلاَّ ربه، فهل يصدق الإنسان عندما يُعطى ما طلب وسأل؟

قلما تجده يوفي بوعده وعهده، ولكن عاد إليه البطر، والكبر والبغي والطغيان.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٢ ﴾

[يونس: ١٢].

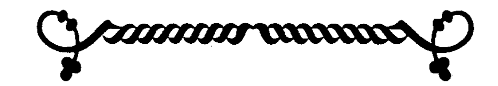
فماذا نقول لأمثال هؤلاء؟

نقول له تمتَّع بكفرك قليلاً وأبشر فإنك من أصحاب النار.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الحذر من البغي والطغيان فهو دائم ملازم للإنسان وينبغي أن أكون شاكرًا لربي في السراء، صابرًا على قضائه وقدره في الضراء، واعلم يقينًا أن كلٌّ من عند الله وتعلمت أن لا أنشغل بعطايا الدنيا عن المعطي الوهاب.

فتعلمت أنه ينبغي أن أتحسس من حال نفسي هل عندي من هذا البغي والطغيان شيئًا وهذا أرقبه وألمسه من تصرفاتي إذا كانت سراء وما هو حالي عند الضراء، هل أرى تغيرًا في نفسي فأقنط عندها من رحمة ربي أو أجزع أو أسخط قدر ربي أم تراني صابرًا محتسبًا، وأعلم يقينًا وبلسان الحال أن ما أصابني لم يكن ليخطئني وأن ما أخطأني لم يكن ليصيبني.



﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ [غافر: ٧ – ٩].

من كمال لطف الله بعباده وإحسانه بهم أن الله تعالى جعل الملائكة المقربين يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم.

وهم أفضل أجناس الملائكة فإن الملائكة لا تفتر عن ذكر ربها وتسبيحه وتقديسه وتحميده، وهم لا ذنوب لهم، بل هم طائعون لربهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فقيدهم الله تعالى؛ لكي يستغفروا للمؤمنين.

وكيف أن الملائكة يتوسلون إلى ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى على أن يجيب طلبهم في الطائفة التي وحدت ربها وأخلصت له في دينها واتبعوا كتاب ربهم وهدي نبيهم.

ومن تمام دعائهم يطلبون من ربهم أن يقي المؤمنين من السيئات والأعمال القبيحة، فمن وفقه الله للحسنات وجنبه السيئات فقد كتب الله له الفوز والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

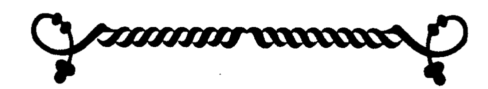
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

معلم الإيمان بالملائكة في القلب وإرادة الملائكة الخير لنا، بل حرصهم على أن

الله يغفر لنا الذنب ويوفقنا للأعمال الصالحة، فهل تجد في قلبك حبًا للملائكة ؟ وهل تعلم ما هي علاقة الإنسان بالملائكة وأين تجدهم؟ وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان فلتحسن صحبتك لملائكة الرحمن الكرام البررة.

إن علاقتنا بالملائكة علاقة سطحية، نعلم أن من أصول الإيمان الإيمان بالملائكة، ونحن نؤمن بالملائكة، ولكن ينبغي أن أقف على هذه العلاقات سواء المباشرة أو غير المباشرة مع الملائكة، وكيف أن أفاضل الملائكة يرغبون لنا الخير، بل وتراهم يتوسلون لربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر لنا الذنب وأن يدخلنا الجنة وأن يجمع بيني وبين أسرتي في الجنة، وأن يجنبنا المنكرات.

فتعلمتُ أنني ينبغي أن أنظر إلى معلم الإيمان بالملائكة في قلبي وأين تقع محبة الملائكة في قلبي خاصة، وهم يتمنون لنا الخير، بل وينشغلون بطلب ذلك من ربهم، فتعلمتُ أنني ينبغي أن أوطّد علاقتي بالملائكة الكرام البررة، وأجتهد أن أتشبه بهم، فهم والله لا يعصون الله ما أمرهم، بل ويفعلون ما يُؤمرون.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

التلازم بين الإيمان والعمل الصالح والاستقامة على صراط الله المستقيم لنرى أثر ذلك عند مفارقة الدنيا والأهل والمال والأحباب، فكان من رحمة الله بالمؤمنين، حتى لا يحزنوا أنه سبحانه يبشرهم بالجنة التي وعدهم الله.

والملائكة يثبتون الإنسان عند موته كما كانوا يثبتونه في الدنيا لفعل الطاعات وترك المنكرات ويثبّتونهم عند المصائب والمخاوف خاصة عند مفارقة الدنيا لشدة الموت، وما يأتي من أمور غيبية من القبر وظلمته وأهوال القيامة والصراط والميزان.

ويشوقونهم إلى الجنة أن لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، هذا ثواب الملك لمن أطاعه، وهذه جائزة الرحمن لمن سار على صراطه المستقيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

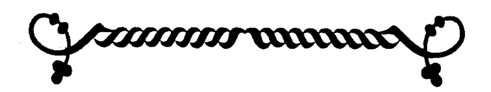
تقول لي هذه الآية: ما مدى استعدادك للموت وتركك لولدك وزوجك وأهلك وعشيرتك ومالك وتفلتك من الدنيا؟ هل ترى في نفسك التأهب والاستعداد لهذه اللحظات، فقد مضى وقت اللعب وينبغي توطين النفس على استقبال كل ما هو آت من أمر الآخرة فهل أنت مستعد؟

أتراك تقول نعم الآن أم تقول فلنأخذ فرصة أخرى؟ وهل ستوفق إلى ما تطلبه فتمهل أم حان وقت الرحيل.

وهل أنت مستعد للقاء ملك الموت، فلا تنسَ فأنت على موعد حتمي مع ملك الموت.

فعلمتني هذه الآية أن أتأهب وأتأهل لاستقبال جند ربي، ملائكة الرحمن الذين وكلهم سبحانه بقبض روحي؛ ليصعدوا بها إلى بارئها الملك الديّان، ولا أدخر جهداً أو مجهوداً من أجل أن تأتيني بهذه البشرى عند موتي. يا لها من سعادة إذا بُشِّرَ الإنسان عند موته بهذه البشرى.

اللهم لا تُمتنا إلاَّ وأنت راضٍ عنَّا.



﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى : ٤٧].

ماذا تريدون من ربكم أكثر مما قال؟!

إن ربك لرءوف رحيم، ومن رحمته بيّن لنا ما غُيب عنّا ووصف لنا الدواء، فاحذر من هذا اليوم حيث ليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه فيفوت ربه ويهرب منه، ومالك في هذا اليوم، بل لا تستطيع إنكار ما قد فعلت فالله تعالى سيقوم شهيداً عليك من نفسك.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وضوح الرؤية والتصور لهذا الموقف، ويقينًا لاسبيل لنا إلاّ أن نستجيب لنداء الله لنا ويقينًا إذا مررنا بأذهاننا في كل أرجاء الدنيا فلا نجد مكانًا، ولو ضيقًا نختفي فيه عن ربنا ومولانا ومالكنا سبحانه، فلابد من تصحيح وإصلاح العلاقة التي بينك وبين ربك.

فلا سبيل إلاّ بتأهيل نفسي لكي أستجيب لربي ولندائه؛ لأنه لا سبيل للحياة الطيبة في الدنيا والفوز في الآخرة إلاّ بالاستجابة وتنفيذ ما طلب مني ربي فأنا عبده وملكه وتحت قهره وسلطانه. فإن لم أستجب لربي، فلمن أستجيب؟!.

فإن لم أقل لربي عندما أسمع نداءه لي: لبّيك ربنا وسعديك والخير بين يديك. فنداء من ألبّي؟!.



﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢]

احذر من العادات فإنها قد تحولت عند الناس إلى دين، احذر من العادات الموروثة عن الآباء؛ فسبب المخالفات يأتي من خلال هذه الشبهة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذه الآية تقول لي: هل تعارض شيئًا من شرع ربك؛ لأنه أتى على خلاف العادات الموروثة؟ وهل تجاهد نفسك لربك لكي تتخلى عن العادات المتأصلة والموروثة المناقضة لدين ربك أم أن العاطفة والحنين إلى ما كان عليه الآباء يجعلك تتخلى وتعارض ما جاء به الكتاب والسُّنَّة؟ وهل تأملت وعلمت أن سبب كفر الكافر كان التقليد وسبب الاستمرار على البدع والمعاصي كان التقليد؟.

انتبه: فقضية تقليد الآباء فيما يخالف الشرع قضية قديمة متوارثة عن طريق الأمم السابقة. فلتجاهد نفسك لربك واعلم ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فعلمتني هذه الآية أن أجاهد نفسي في الله، فالهداية لسبيل ربي المستقيم تحتاج مني أن أترك العادات الموروثة عن آبائي طالما كانت مخالفة لشرع ربي، وأن أقوم بعرض العادات والأعراف الموروثة التي نشأنا عليها وتعلمناها من البيئة التي وُجدنا فيها أعرضها على كتاب ربي وسُنَّة نبيّه ﷺ، فما وافق قبلناه وما افترق عنهما فارقناه.

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[الدخان: ١٠ – ١٤].

فيها تسلية للمؤمنين، وفيها ترهيب للكافرين .

كيف بكم إذا نزل العذاب يوم القيامة.

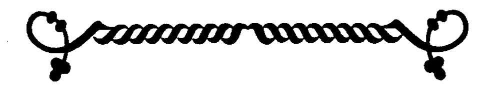
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

أتحذر من أشراط الساعة أتعلمها ، هل أخذت الاحتياط بشأنها، فما هو موقفك إن ظهرت علامة من هذه العلامات الكبرى؟.

فهل أنت تعلم هذه الآيات والعلامات التي تكون من بعدها الساعة؟

ماذا تعرف عن اليوم الآخر؟ وهل أنت من الآخرة على يقين؟ وما هو معلم الإيمان بالآخرة في قلبك؟ وما مظهر هذا المعلم في حياتك؟

فتعلمت كيف أُفتش في قلبي لكي أقف على المعالم المبثوثة في قلبي ، وأبحث عن معلم الآخرة في قلبي، حيث لا استقامة للإنسان على طريق ربه المستقيم إلا بإقامة هذا المعلم بصورة واضحة صحيحة في قلبي.



﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ﴾ [الجاثية: ١٦، ١٧].

أعدد نعم الله عليك من إنزاله الكتاب وإرساله الرسول وتيسيره لنا سبل العيش الطيب، واحذر الشقاق فقد أنزل الله لنا الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، وسبب الشقاق دومًا في عدم اعتماد ما اعتمد الله لنا من مصادر الدين، وهذه المرجعيات عند الاختلاف.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التمسك بالكتاب والسنة، وردّ أي تنازع أو خصومة أو إشكال إلى كتاب الله وسنّة رسوله دون غيرهما.

وإنْ حَكَمَ ربك يوم القيامة المتخاصمين أو المتنازعين فكيف يكون حكمه؟ إن مصدر حكمه سبحانه من خلال هذا القرآن الذي بين أيدينا.

فعلمت نفسي أن كل صغيرة وكبيرة لابد من عرضها على كتاب ربي وعلى سنة رسوله ﷺ. فلا سبيل للنجاة من حساب يوم القيامة إلا بمحاسبة النفس.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

الإيجابية ومسؤولية المسلم في دعوة الخلق لدين الله تعالى وبيان الفهم في الدين وأن الدعوة لدين الله ينبغي أن تكون على بصيرة بعد الفهم والاستيعاب لآيات الله تعالى، ولابد من التعرف على الميزان الذي نقيس من خلاله الأمور، وأن الجن عندها علم سابق بالرسالات، وبالنظر والتدقيق ما هي الدوافع التي جعلت الجن يؤمنون برسالة النّبيّ محمد ﷺ؟ أن هذا الكتاب يدعو إلى ما تدعو إليه التوراة مع البيان الواضح لمعالم الطريق المستقيم وأن الطريق المستقيم هو الموصل إلى الجنة، وأن من لم يستجب لهذا الدين فإنه في خسران مبين وأنه لن يضر الله شيئًا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الإيجابية سمة أساسية في حياة المسلم مع الإحساس العميق بالمسئولية اتجاه هذا الدين، وسبيل الأنبياء الدعوة لدين الله تعالى مع عدم التقاعس عن هذه المهمة، وكذلك الفهم في دين الله والتفهم لطبيعة هذا الدين، مع التحذير من الشعور بأن الإنسان يمنّ على ربه بطاعاته ففي حقيقة الأمر أن الإنسان هو الذي ينتفع بالطاعات كما أنه هو الذي يُضَرّ بالمعصية.

فعلمتني أنني ينبغي أن أسلك سبيل الأنبياء، وأن أقوم بواجبي نحو هذا الدين من دعوة الخلق لدين ربي ولأنفض يدي من السلبية، فهذا وصف لا يليق بالمؤمن.

لقد تعلمت من هذه الآية هذه الإيجابية والإحساس بالمسؤولية من موقف الجن وأنهم بمجرد أن سمعوا هذه الآيات التي قرأها النّبيّ ﷺ حملوها إلى قومهم لينذروهم من عذاب الله إن لم يستجيبوا، ويُبشرونهم بمغفرة الله لهم إذا استجابوا، فنظرتُ فيما عندي، فإذا أنا معي آيات أكثر بكثير من الآيات التي استعمت إليها الجن، فماذا فعلت؟



﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾ [محمد : ١٩].

العلم بأنه ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ يتطلب إقرار القلب ومعرفته، وتمام ذلك أن يعمل بمقتضى هذه الكلمة والعلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان.

ما سبيل العلم بأنه لا إله إلاّ الله؟

- التعرف على الله بأسمائه وصفاته والتعرف على أفعاله سبحانه الدالة على كماله وعظمته وجلاله والتعبد لله بمقتضى ذلك.
- التعرف على الله أنه الخالق المدبر لهذا الكون القائم على شؤون خلقه.
- التعرف على نعم الله الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية.

وهذه المعرفة توجب تعلق القلب بالله ومحبته.

وهذا هو سبيل ترسيخ الإيمان في القلب.

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة والحسنات الماحية وترك الذنوب.

اطلب من الله المغفرة للمؤمنين والمؤمنات بسبب إيمانهم كما تطلب ذلك الملائكة من ربها سبحانه لعباده المؤمنين الموحدين.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ تصرفاتكم وحركاتكم وذهابكم ومجيئكم ويعلم مكانكم الذي تستقرون فيه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ماذا تقول هذه الآية لي؟

إقرار القلب ومعرفته بأسماء الله وصفاته لينشأ عن ذلك العلم بمقتضى هذه الكلمة، فهل من معلم في قلبك لقضية التعرف على ربك معرفة ينشأ من خلالها الإجلال والتعظيم لله تعالى المتمثل في ظهور أثر هذه المعرفة على سلوكك وافعالك.

وما هي المكانة التي يمثلها العلم في قلبك؟ انظر إلى جدول أوقاتك، فهل رأيت أن هناك جزءاً من وقتك وجهته لكي تتعلم أمر هذا الدين؟.

فعلمتني هذه الآية أن أنظر في قلبي لأزن ما هو علمي بالله تعالى، وأنه لا إله إلاَّ هو، هل علمي بالله أخذه قلبي من لساني، أم أخذه لساني من قلبي.

وهل أقرأ لساني بلا إله إلاَّ الله، وقلبي في غفلة من هذا ؟، أم أن قلبي نطق بلا إله إلاَّ الله، ولساني ترجم ما نطق به قلبي؟.



﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) ﴾ [محمد : ٢٩، ٣٠].

احذر من مرض القلوب؛ فإنها أمراض متوطنة في القلب وعلاجها طويل الأمد، ومرض القلب من أخطر الأمراض؛ فإنه مرض فتاك يهلك صاحبه.

واحذر من اطّلاع الله على قلبك، فإن كان الإنسان يستطيع أن يخفي في نفسه ما لا يبديه للناس، ولكن قضى الله تعالى أن يُرى ما في قلب الإنسان على فلتات لسانه وصفحات وجهه، فلابد من الامتحان لما في القلوب ولابد من إظهاره سواء عن طريق الأقوال أو التصرفات، واحذر من الظن السوء أن تعامل الخلاق العليم بما تعامل به الخلق فتظن أن الله لا يطلع على ما في داخلك، كما أنه لا سبيل للناس أن يطّلعوا على ذلك فهو مخفي عنهم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعاهد القلب وتعاهد أمراض القلوب والوقوف على وصفها وتشخيصها مع عدم الغفلة؛ فإنّ القلب محط الشبه والشبهات، ولتُصلح من سريرتك وليكن قلبك صفحة بيضاء ولتعلم أن وجهك مرآة لقلبك، فهل وقفت على صفحة قلبك؟ وهل رأيت عليه نكت طمست بعض معالم هذه الصفحة؟ فلتسرع لإزالتها قبل أن يفضحك وجهك أو يفضحك لسانك، فعلمت أن هناك أمراض يُصاب بها القلب من شهوات وشبهات أشد فتكًا بالإنسان من أمراض البدن، وأن هذه الأمراض القلبية لتقرأ على صفحات الوجوه وفلتات اللسان، فكان لابد من النظر المستديم في قلبي وإزالة ما يعلق به من هذه الأمراض؛ حتى يعود قلبًا أبيض مصقولاً أُزيلت من عليه الغشاوة والران؛ لأنه لا سبيل لفهم كلام الله إلاّ بذلك.

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: ٢٩]

فهل لك في صحبة النبيّ ﷺ ؟

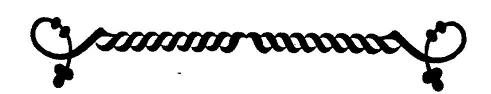
فلتكن مستجمعًا لصفاتهم؛ فإن صحابته ﷺ كانوا بأكمل الصفات وأجل الأحوال، ومقصود العبادة بلوغ رضا الله تعالى والوصول إلى ثوابه، ويرى أثر هذه العبادة على وجوههم حتى استنارت.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تقول هذه الآية لي : اعلم أن العبادات لها أثر على باطن الإنسان نراه على وجهه، فهل تلمست على وجهك أثر عباداتك تراه فيما تتكلم به وفيما تفعل؟

وهل ترى الرفق واللين والمودة في قلبك للمؤمنين وترى الغلظة في قلبك على الكافرين فإنها علامة صحة الإيمان.

فعلمتُ أنه لابد من اختبار ما في قلبي من مودة للمؤمنين ومن شدة على الكافرين فهي علامة صحة القلوب.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① ﴾ [الحجرات: ١].

هذه الآية متضمنة للأدب مع الله تعالى والأدب مع رسوله ﷺ والتعظيم والاحترام له وإكرامه.

فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن يسيروا خلف أوامر الله متبعين لسنّة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم وأن لا يقدموا بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يامروا حتى يامر.

وهذا الأدب هو عنوان سعادة العبد وخلاصه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وجوب هذا الأدب مع الله والأدب مع رسول الله ﷺ متمثلاً في عدم التقدم بكلام أو أفعال قبل الرجوع والنظر في الكتاب والسنة.

معلم هذه الآية في القلب أنها منشأة لتعظيم وتبجيل الكتاب والسنة فهما أساس سير الإنسان، وهذه علامة تقوى الإنسان لربه أنه لا يتقدم لا بقول أو عمل على كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، بل لو عرض له عارض ولم يكن عنده علم ما أبدى برأيه إلاّ بعد الرجوع إلى الكتاب والسنة.

فعلمتني هذه الآية أنّ سيري ينبغي أن يكون من وراء الكتاب والسُّنَّة، فهما إمامي في سيري إلى ربي وإلى الدار الآخرة، ولا أسبقهما في سيري ليكونا خلفي.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات: ١٣].

جميع بني آدم خُلقوا من آدم وزوجه حواء، فالكل يرجع إلى أصل واحد وجنس واحد، والميزان عند الله مبناه على التقوى لا على اللون ولا العرق ولا على المال ولا على غيره، ولكن الميزان هو التقوى والله تعالى هو أعلم بمن اتقى.

فأكثرنا طاعة وانكفافًا عن المعاصي هو الكريم عند الله تعالى.

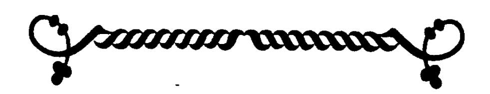
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا استطالة على خلق الله لا بمال ولا بجاه ولا بسلطان، فإن هذا ملك زائل، ولكن الميزان لا يكون إلاّ على الدين.

أين معلم الدين بصفة عامة في القلب؟

وسبيلك إلى إكرام من أكرمه الله بالتقوى وعدم التحقير من شأن من قد يكون عند الله مقبولاً.

فالتقوى هي السبيل لنيل الشرف والمنزلة عند ربي، فما السبيل لكي أكون من المتقين؟



﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾
[ق: ١٩ – ٢٢]

الموت لا يحتاج إلى استئذان وبه ينقلب الغيب إلى شهادة ويُساق الإنسان بأعماله خيرها وشرها.

أكثر الناس بلسان أحوالهم يكذبون بيوم الدين، ودليل ذلك تركهم للأعمال والغفلة عن يوم الحساب، وستُكشف الحجب حتي ترى ما غفلت عنه وأعرضت عنه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ماذا تقول لي هذه الآية؟

هل ترى حقائق الآخرة وقد رُسمت أمامك بوضوح؟

هل فعلاً أنت في غفلة عن لقاء ربك وعن يوم الحساب؟

هل لو كشفت الحجب سترى ما كنت غافلاً عنه بقلبك أم ستقع الرؤيا وفقًا لما صورته في قلبك عن هذا اليوم؟

وهل أنت تجلس ترقب الموت ومفارقة المال والأحباب؟

وهل بصرت في عملك الذي سيقودك إلى مقعدك في الآخرة؟

فعلمت أن الغفلة سبب الهلاك والدمار الذي يلحق بالإنسان فلتقم من غفلتك قبل أن يأتي الموت حيث لا يُعطي المهلة للاستعداد، فإنه إذا جاء فإنه لا ينتظر، فلتسارع قبل أن يُغلق الباب.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

الغفلة والنسيان تنسحب دومًا على الإنسان، فقد يذهل عن بعض الحقائق، فحاجة الإنسان للتذكر وللتذكير الدائم حاجة لا تنقطع، وهذا هو سبيل المؤمنين تقليب الحقائق دومًا حتى لا تنطوي بعض الحقائق وتكون في طي النسيان.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢١، ١٢٢].

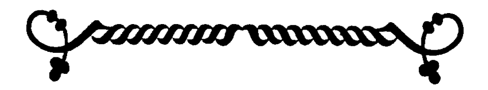
وكذا يقول سبحانه: ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل دومًا تراجع هذه العلاقات، وهذه المعالم التي في قلبك أم اكتفيت بوضعها فقط، فليس العبرة في احتلال هذه المعالم لأماكنها في قلبك ولكن المداومة والاستمرارية على تعاهد هذه العلامات وهذا مظهر من مظاهر الإيمان لأن هذا هو سلوك المؤمنين.

علامة إيماني الاعتبار والاتعاظ وعدم الغفلة والنسيان.

فعلمتني هذه الآية أن أُقويّ ذلك الواعظ الذي في قلبي؛ ليكون مُذكّرًا مستديمًا معي لا أنفكُّ عنه ولا يَنْفَكُّ عنّي.



﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

إياك أن تعبأ بالمستهزئين. وإياك أن تظن أن الله يسلمك لأولياء الشيطان أعداء الرحمن. وإياك أن تظن أن الله تعالى لا يرى ما تقابل به عند دعوة الخلق لتوحيد ربهم، فأنت بمرأى من الله، وحفظ واعتناء، فربك بصير وربك حفيظ يحفظ أولياءه ولكن عليك أن تتعرف على السّنن الكونية وعليك أن تستعين بالصبر خاصة في الذكر والعبادة خاصة قيام الليل لتخلو بينك وبين ربك سبحانه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قيام الليل أين هو في حياتك وكذلك ذكر ربك وعبادته، وهل ترى أنك تصبر على طاعة ربك؟ وهل أنت صابر على استهزاء المستهزئين المكذبين الضالين، فلا يفت ذلك في عضدك وتملّ من الطريق؟ ولا يفوتك أن ربك يراك على كل موضع وأن ربك لا يتخلى عن أوليائه ولا يسلمهم إلى أعدائه.

فتعلمت أنه لابد أن يكون في مفكرتي قيام الليل حتى ولو بركعات قصيرة، وورد من التسبيح عند نومي وعند يقظتي وعند إدبار الليل وإقبال النهار، وعند إدبار النهار وإقبال الليل، وكذلك في وقت السحر حيث الغفلة.

فعلمتني هذه الآية ألاَّ أغفل عن زادي اليومي المتمثل في ذكر ربي ليلاً كان أو نهارًا، فإنها والله لهي السعادة الحقيقية أن أُمَتّع جوارحي، وجميع أركاني وكياني بذكر ربي من تسبيح أو تهليل أو قراءة في كتاب ربي.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) ﴾ [النجم: ٣٩ – ٤٢].

كل عامل له عمله ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، فلا يتحمل أحد عن أحد ذنبًا، وأن عمل الإنسان سوف يُعرض في الآخرة فيجازى بعمله، فليس لك أيها الإنسان إلاّ سعي نفسك، فلا تعتمد على غيرك.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لابد للإنسان أن يكون بصيرًا على نفسه، وأن صفحة أعماله لابد أن تكون مرئية واضحة يرى معالم أعماله عليها ولا ينصرف عن نظره أو بصره أن مرجعه إلى ربه ليجازيه على أعماله، فهل عملك يصلح أن تتقدم به إلى ربك؟

فلا اغترار أنني من عائلة فلان أو أنا فلان ابن فلان، فإنها علائق مقطوعة ولا تتقدم إلى ربك إلاّ بعملك تراه يمينك وشمالك.

فعلمتني هذه الآية النظر المستديم في سعيي وعملي الذي سوف أقدم به غدًا على ربي، والذي سيجازيني على أساسه الملك الديّان الذي لا تخفى عليه خافية، وأني في نهاية الرحلة لموقوف بين يدي ربي ولمسئول عن أعمالي.



﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ [القمر: ٤٩، ٥٠].

الله تعالى خالق كل شيء فلا شريك له في ملكه ولا شريك له في خلقه، فلم يشرك في خلقه أحدًا كما لم يُشرك في ملكه أحدًا، وهذه المخلوقات من سماوات وأراضين وما فيهن وما بينهن، كل ذلك مما سبق في علم الله السابق وبما جرى به القلم بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من أوصاف وكل ذلك على الله يسير، والإنسان يسعى إلى ما قدره الله عليه فكل ميسر لما خُلق له، وربك قدير، إذا أراد شيئًا قال له كن، فيكون على مراد الله تعالى، فلا ممانع له ولا منازع.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعلمت فيها أن أقول لنفسي:

ما هو معلم الإيمان بالقدر في قلبك، و هل وصل في قلبك حقًا أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك؟ وهل ترى مشهد القدر مع كل حدث تمر به أم تتسخط القدر؟ وهل تستحضر دومًا قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا؟ وهل ترى مظهر إيمانك بالقدر على سلوكيّاتك وهل ترى معلمه في قلبك؟.

فعلمتني هذه الآية أنه لن يكون في ملك الملك الجبار إلاّ ما أراد وشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فمشيئة ربي نافذة، فلتسكني يا نفس ولا تجزعي فإنّ ربي الذي أعبده إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، فسبحان الملك الواحد القهار.

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده إلاّ أن يُحسن إليه ربه بالثواب الجزيل والفوز العظم والنعيم والعيش السليم .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة :

قلت : يا نفس قفي . . .

هل أنت من المحسنين؟

وهل أنت تحسنين في عبادك ربك؟

وهل أنت تحسنين إلى عباد الله؟

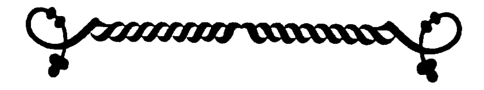
وهل أنت تحسنين مع نفسك وأهلك وزوجك؟

وهل أنت تحسنين مع أوقاتك ولحظاتك؟

هل تعلم ما هي صفات المحسنين؟ وهل تجد هذه الصفات في نفسك؟ وهل وقفت مع مظاهر إحسان الله إليك؟

وكيف ترى نفسك في تعاملك مع نعم الله عليك؟!

فيا نفس هل جزاء الإحسان الإساءة والمعصية والكبر والبغي والطغيان؟ أم أن جزاء الإحسان أن يُقابل بمثله؟!، فتوبي إلى ربك قبل أن يُحال بينك وبين التوبة .



﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[الواقعة: ٨ - ١١].

الناس ينقسمون عند ربهم إلى ثلاث فرق بحسب أعمالهم الحسنة والسيئة. فرقتان من أهل الجنة، وفرقة من أهل النار.

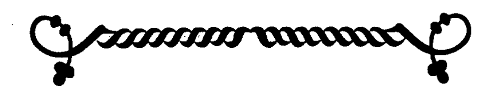
فأهل الجنة منهم السابقون بالخيرات، وسابقون في الآخرة بدخول الجنات.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعلمت أن أقول لنفسي: هل ترى أعمالك تقربك إلى الجنة أم تقربك إلى النار؟ فلو كنت ترى أنك تجتهد لتعمل عمل أهل الجنة، فهل ترى أنك من الممكن أن تكون من السابقين؟ وهل وقفت على صفات كل طائفة ونظرت في نفسك إن كنت فعلاً مشتملاً على صفات أي فرقة من هذه الفرق؟ وهل نظرت إلى الحوافز التي تدفعك أن تكون من السابقين بالخيرات، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أم تركت هذه المسابقة لغيرك؟

فوالله إنه السباق الحقيقي ليكون في احتلال الدرجات العلى في الجنة.

فعلّمتني هذه الآية أن أُشمّر ساعد الجد والاجتهاد وأواصل الليل بالنهار في طاعة الله وأقول وداعًا للغفلة والكسل؛ فقد آن الرحيل وأزفت الآزفة، فقد مضى وقتُ اللعب واللهو.



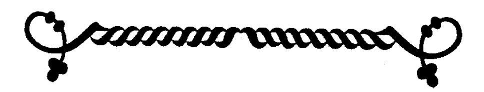
﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑪﴾ [الحديد: ١١]

فلتنفق من مال الله الذي أتاك والله يتقبل هذه الصدقة إن كانت من كسب طيب وما أريد بها إلا وجه الله الكريم، فالله يضاعفها أضعافًا كثيرة، وهو سبحانه الكريم الوهاب.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فوجهت هذا القول لنفسي: كيف تجد المال في قلبك؟ كيف تجدك عند الإنفاق؟ وهل تحصي النفقة على ربك أم أنك تعلم أن ما ينفقه الإنسان، فالله تكفل برده على الإنسان بزيادة كبيرة، وأنه يخلف الإنسان فيما ينفقه في سبيل الله؟ وهل قبل النفقة تجد في نفسك أنك تتمنى لو يراك الناس حتى يقولوا محسن جواد متصدق؟ أم أنك تسعى في نفقتك لكي تكون تحت ظل عرش الرحمن؟

فعلَّمَتْني هذه الآية أن أبحث عن كل سبيل من سُبُل الخير يرضى بها عنّي ربي سبحانه وأن أبذل مالي لربي، فهو سبحانه الذي أعطاني ورزقني إياه، وهو المتكفل برده عليّ في أفضل وأحسن مما أعطيت، فكيف أبخل بعد ذلك على نفسي؟!.



﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢].

لا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقة إلاَّ كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه من محبة من قام بالإيمان، وموالاته وبغض ما لم يقم به ومعاداته ولو كان أقرب الناس إليه، فهؤلاء هم الذي ثبت الله في قلوبهم الإيمان، وهؤلاء منّ الله عليهم بمدده وعونه، وهؤلاء لهم عند ربهم جنات النعيم وكفى أن الله أحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تقول لي هذه الآية: لابد من اختبار الإيمان، فهل تجد معلم هذه القضية في قلبك؟ وهل يجتمع في قلبك حب الأولياء وحب الأعداء؟ إذا وجدت ذلك فهذا من تلبيس الشيطان.

وهل تسعى إلى أن تكون من أهل الرضوان؟

وهل وقفت على الأسباب التي من خلالها يحصل الإنسان على محبة الله له، وعن رضاه عن عبده؟

فتعلمت أن توجه القلب محبة وبغضًا له أساس ومعيار فليس هذا تابع لهوى النفس، ولكن لمعايير وأسس، فالقلب يخفق محبة لعباد الله الصالحين وبغضًا لأعداء الله الكافرين.

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑩ ﴾ [الحشر: ١٠].

اعرفوا لأهل الفضل فضلهم، ولابد من إعطاء كل ذي حق حقه، والرابطة الإيمانية كيف تفعل بأهلها ولو تباعدت الأزمان والأمكنة، ومن حق السابقين الذين سبقونا بالإيمان وحفظوا لنا هذا الدين أن يكون لهم نصيبٌ من الدعاء، وفيه بيان لحق الأخوة الإيمانية.

والسعي لإزالة الغل والحقد للمؤمنين، فحبك لإيمانهم دفع هذا الغل والحقد، فلا وجود له في القلب، واعتراف الإنسان بذنبه وتقصيره، والمواصلة على طلب المغفرة من ربه سبحانه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل تجد في قلبك غلاً أو حقداً لأحد من المؤمنين الطائعين لربهم ؟

وهل تجد أنك توفي الحقوق لأهلها ومنها الدعاء لمن سبقنا بالإيمان فحفظ لنا هذا الدين؟، وهل تسعى إلى مواصلة ومد جسور المودة والمحبة بين إخوانك المؤمنين محافظة على الأخوة الإيمانية التي هي من نعم الله تعالى أن ألف الله بين قلوبنا؟.

فلتطهر قلبك من هذا الداء الفتَّاك الذي أهلك من سبقنا من الأمم. فتعلمت أن لا يكون مكانٌ في قلبي لهذا الداء الغل والحقد والحسد، فكان لزامًا أن أسعى إلى تطهير قلبي من هذه الأمراض الفتاكة التي أهلك الله من خلالها الأمم السابقة.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢].

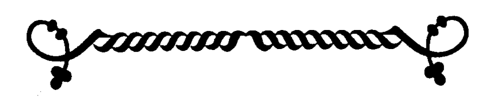
احذر من شدة عداوة أعداء الله؛ فإنهم لا يتوانون في إلحاق الأذى بالمؤمنين لو خلصوا إلى ذلك، و ربك من رحمته بالمؤمنين أن أظهر لنا ما يخفونه من البغضاء والحقد والحسد للمؤمنين وأن مبتغاهم أن يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

بيان للحيثية التي حرم الله علينا بها موالاة الكفار، فلا اغترار بلين كلامهم أو معسول كلامهم؛ فإنهم يستعملون كل وسيلة من الوسائل سواء الحسية أو المعنوية من أجل الوصول إلى هدفهم وهو ردتكم عن دينكم.

فهل مازلت ترى في قلبك مودة للكفار فهذا نذير خطر؟؛ فاحذر على نفسك.

فهذه الآية وأمثالها تعلمني كمسلم كيف أحافظ على عقيدتي وإيماني، وكيف أقوم بصيانة قلبي، حتى في الحب والبغض، فأنا عبدٌ، وقلبي لا يحب إلاَّ من أحب الله ولا يبغض إلاَّ من أبغض الله حتى لو كان من أقرب الناس إليَّ.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف: ٢، ٣].

احذر من الفصل بين القول والعمل؛ فالله يمقت على ذلك، فهذه صفات لا تليق بالمؤمنين، فلتبادر إلى فعل ما تأمر أو تحث به من الخير.

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة: ٤٤].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل ترى التلازم بين قولك وفعلك وبين ظاهرك وباطنك؟

وهل تضن على نفسك بالخير وتحث الآخرين عليه؟

فليكن لك النصيب والحظ الأوفر من الخيرات والطاعات التي تحث الناس على التزامها، وإياك أن تنصح الناس وتضن بالنصيحة على نفسك.

فتعلمت أن يكون التلازم بين قولي وعملي فأرقب ما أتكلم به وأرقب عملي؛ لكي يكون موافقًا لما أتكلم به، فلا فصل بين قولي وعملي، كما لا فصل بين ظاهري وباطني، فكان لابد من ضبط هذه العلاقة بين أقوالي وأفعالي كما أسعى أن يكون ظاهري مطابقًا لباطني.

فعلمتني هذه الآية أن أحذر من مقت الله وأحذر مما يغضب الربّ.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩].

يأمر الله عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها من حين ينادي لها والسعي إليها، فلتظهر اهتمامك بشعائر الله تعالى، فإنها علامة على تقوى القلوب.

ولتترك أي شاغل من مشاغل الدنيا من بيع وخلافه ولتمض مسرعًا إلى طاعة ربك سبحانه، فما عند الله هو خير وأبقى.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لقد علمتني هذه الآية وكأنها تقول لي:

تعظيم شعائر الله ومنها تعظيم يوم الجمعة، فهو خير يوم طلعت فيه الشمس، فما معلم هذا اليوم في قلبك، وما هي استعداداتك لهذا اليوم؟ وكيف تتهيأ لاستقباله من فجر يوم الجمعة إلى غروب شمس هذا اليوم؟

فما هي قائمة الطاعات التي تقوم بها في يوم الجمعة؟

وهل تبادر وتسابق إلى فعل الخيرات في ذلك اليوم، منها الذهاب مبكرًا إلى المسجد وغير ذلك من الخصائص التي خص الله بها يوم الجمعة عن سائر الأيام؟

وهل وقفت على خصائص هذا اليوم؟ وهل وقفت على العبادات التي حث النَّبيّ ﷺ على إتمامها في هذا اليوم؟ هل تعرفها؟

فلتسارع قبل الفوات.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ ﴾ [المنافقون: ١ – ٤].

المنافقون كاذبون في دعواهم وفي قولهم، جعلوا إيمانهم ترسًا يتترسون به؛ فصدوا أنفسهم عن سبيل الله، وصدوا غيرهم، ساء عملهم؛ فهم لا يثبتون على الإيمان فهم جهلاء لما ينفعهم، ولا يعون ما يعود بمصالحهم.

فلا تغتر بأجسامهم ولا تغتر بمعسول قولهم ولا حسن منطقهم، فهم كالخشب التي لا نفع لها وهم يُعرفون بضعف قلوبهم، والسبب حبهم للحياة.

فالمنافقون هم الأعداء الحقيقيين لدين الله وللمسلمين، فاحذروهم على أنفسكم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قالت لي هذه الآية:

لا تأمن على نفسك النفاق ولابد من النظر الدائم لأخلاقياتك؛ حتى لا تشبه صفات أو أخلاقيات المنافقين.

هل تعلم ما علامة النفاق؟ وهل تحذره على نفسك؟

إن المؤمن ليخاف على نفسه النفاق، ولا يأمن على نفسه ولا يسلم نفسه لنفسه.

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) ﴾ [التغابن: ١١].

هذا عام لجميع المصائب في النفس والمال والولد والأحباب وغيرهم، فجميع ما أصاب العبد فهو بقضاء الله وقدره، وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وجرى به القلم ونفذت مشيئته واقتضته حكمته.

المطلوب من العبد؟

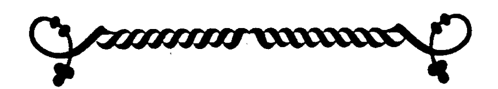
أن يعلم أن كل ذلك من عند الله، فليرضَ بذلك وليسلم أمره لربه سبحانه، فمن فعل ذلك هدى الله قلبه للإيمان فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الحمد لله على نعمة الإيمان، فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات؛ فهم ثابتو القلب، فهل أنت مطمئن إلى قضاء ربك وقدره؟

فما معلم الإيمان بالقدر خيره وشره في قلبك؟.

وهل ترى اليقين أن أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما لو اجتمعوا على نفعك أو ضرك ما كان ذلك بممكن لهم ولا في استطاعتهم طالما أن ربك لم يقدر ذلك لك أو عليك.



﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) ﴾ [الطلاق : ١].

عند الطلاق التمسوا الطلاق المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه من غير مراعاة لأمر الله، فليطلقها طلاق السُّنَّة؛ حتى تكون مبتدأة لاستقبال عدتها؛ حتى لا تطول عليها عدتها.

﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ لأن فيها حق لله وحق لزوجها، وحق لمن سيتزوجها بعد العدة، وحق للمطلقة في النفقة. ولابد للإنسان أن يتقي ربه في كل شأنه، ومن ذلك أن لا يُخرج المرأة من بيتها إن طلقت طلقة رجعية؛ حتى تنتهي عدتها، والمسلم ملتزم لحدود ما أنزل الله وما شرع، والظلم كل الظلم ظلم الإنسان لنفسه بعدم وقوفه عند حدود ما أنزل الله.

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ مراجعة بعد طلاق.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

المسلم وقّاف عند حدود ما أنزل الله تعالى لا يتحرك ولا يسكن إلاّ بشرع ربه وهو مالك لإرادته غير منفذ لغضبه إن كان فيه مخالفة لأحكام ربه، فقد تربى على الأدب مع الله تعالى.

فتعلمتُ من هذه الآية: أنا عبد لربي حتى عند الأزمات والشدائد، وكذلك عند المواقف التي هي أشد ما يرى فيها الغضب، فليس بمسموح أن أتعدى حدود ما أنزل الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑧ ﴾ [التحريم : ٨] .

التوبة النصوح وثمراتها :

- تكفير السيئات .
- دخول الجنان .
- الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ملازمة التوبة فإنها أولى المقامات ونهاية المقامات، و أن يكون العبد ملازمًا للباب يجيد الطرق على هذا الباب ويداوم على ذلك .

توبة إلى ربه لأنه هو التواب الرحيم .

توبة إلى ربه لتقصيره في شكر نعم ربه وتقصيره في الواجبات والطاعات .

توبة إلى ربه لزلة الأقدام في المعاصي والموبقات .

فهل هذا معلم موجود في قلبك؟

فلتلمس ذلك، فما هي خطتك مع هذه العبادة؟ وما هو البرنامج الزمني الذي أعددته لذلك ؟ استيقظ على التوبة وتجديد العهد، وآوي إلى فراشي على توبة وإنابة من تقصير أو نسيان .

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ [الملك: ٢٢].

أي الرجلين أهدى؟

من كان تائهًا في الضلال أو غارقًا في الكفر منتكس القلب حتى صار الحق عنده باطلاً والباطل عنده حقًا؟

أو من كان عالمًا بالحق مؤثرًا له عاملاً به يمشي على صراط مستقيم في كل أحواله من أقوال أو أعمال وجميع أحواله؟

فلتتعلم أن تكون حكمًا عدلاً.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ما يكون للمسلم أن يكون هائمًا على وجهه لا يدري ما يسير به الطريق أو ما نهاية هذا الطريق، فالمسلم على بينة من أمره ثابت الخطى، واثق من أمره.

والأمر يحتاج دومًا إلى المراجعة المستمرة، وإلى النظر المستمر أين أضع قدمي، فلا أطمئن لسيري في بداية الطريق فحسب، فهو طريق واحد وموصول حتى نهايته، فمع كل خطوة أخطوها فكأنها أول خطوة مع عدم انصراف بصري عن نهاية الطريق.



﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

إذا كان يوم القيامة وأتى الرحمن للفصل بين العباد ومجازاتهم، فكانت العلامة بينه وبين هذه الأمة أن يكشف عن ساق، وعندها يدعون إلى السجود، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا، فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس أعمالهم، حيث كانوا في الدنيا يستكبرون على طاعة ربهم والانقياد لأوامره.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الانزعاج من المعاصي وعدم الطمأنينة إلى حالك والأمر يحتاج إلى مراجعة فلا يطمئن الإنسان إلى ما قدم.

وأن إقبال الإنسان على الطاعة يكون طوعًا واختيارًا، وإخلاص ذلك لله تعالى، وهذه صورة لا تنفك عن الإنسان في استحضار هذا الموقف العظيم، حيث يأتون إلى آدم فنوح فإبراهيم، فموسى، فعيسى حتى يقفوا عند النبيّ ﷺ يستشفعون به عند ربهم لفصل القضاء بين العباد، حيث العرق يتصبب صبًا كل على حسب عمله، فماذا أعددت لمثل هذا اليوم؟

وما معلم هذا الموقف في قلبك؟

فمازلت في سعة وعافية، فهل من عمل ألقى عليه ربي.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ۝٣٧ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٣٧].

العباد يُحشرون حفاة عراة غرلاً في أرض مستوية يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا.

والناس في تلقفهم لكتبهم عندما تتطاير الصحف وتنشر الدواوين ينقسمون إلى قسمين، أهل اليمين، وأهل الشمال.

أهل اليمين: أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزًا لهم وتنويهًا بشأنهم ورفعًا لقدرهم.

أهل الشمال: أهل الشقاء فيعطون كتبهم مشتملة على أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزًا لهم وخزيًا وعارًا وفضيحة.

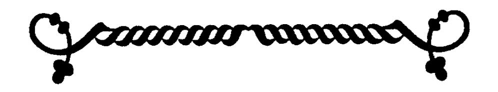
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

يا نفس قفي، عندما تتطاير الصحف، كيف تجدك وهل ترين أن يدك اليمنى

هي التي ستتقدم لتتلقف هذا الكتاب أم ترين أنها تعقد خلف ظهرك لتتقدم يدك اليسرى لتتلقف هذا الكتاب؟

هل تجدك قدمت من الأعمال الصالحة ما يؤهلك لأن تكون من أهل اليمين؟

معلم هذه الآية الأمر يحتاج إلى مزيد من الجد والاجتهاد وأن تكون القضية أكثر حيوية واهتمامًا؛ فالأمر لا يحتاج إلى مغامرة أو مقامرة أو خداع نفس.



﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[المعارج: ٤٢ – ٤٤].

إياك والنظر إلى أهل الدنيا، فذرهم وخوضهم؛ فإن الله قد أعدّ لهم يوم القيامة من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم.

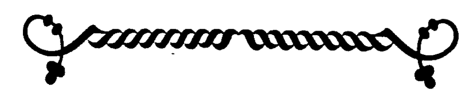
والناس يأتون إلى ربهم عندما يسمعون الداعي يأتون أذلاء مقهورين بين يدي رب العالمين، وقد خشعت الأبصار، وسكنت الحدقات وانقطعت الأصوات، هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

احذر أهل الدنيا، هؤلاء الذين حولوا حياتهم إلى لعب ولهو، فذرهم فقد ألهاهم الأمل، فغداً سيعلمون.

واحذر أن تخوض مع الخائضين، واحذر أن تكون من المكذبين بيوم الدين، فكيف بك عندما تجيب الداعي عندما ينادي المنادي يوم القيامة فما كان لك أن تتخلف، هل استعددت لمثل هذا اليوم وهذا الموقف.

فلا تعدو عيناك عن أهل الطاعة ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١].



﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (٩) ﴾ [نوح: ٥ – ٩].

هكذا ينبغي أن يكون الداعي فلا وقت مستقطع لراحته، ولكنه في تعب وكد ونصب، همه دعوة الخلق لتوحيد ربه، فلا وقت لكي يغمض عينيه.

وكذلك هو متعالٍ عن سفاهات الناس ولا يفت ذلك في عضده مايلقيه من سخافات وسفاهات من القوم، فهو يعلم أن طريق الدعوة مليئ بالعقبات، فهو طريق شاق وبه وعورة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إن الدعوة لدين الله تعالى لتحتاج بذل كل الوقت والجهد لأجل دعوة الخلق لدين ربهم، وأن الداعي لدين الله لا يعرف الهزيمة أبداً، بل يظل في دعوته بغض النظر عن عدد المستجيبين، وحرص الداعي على مصلحة المدعوين وعدم قبول إعراضهم بإعراض مثله، بل بإقبال على قومه مع إعراضهم فإنه لديه الحرص الشديد على هدايتهم.

ويتحمل من سفاهة وجهالات قومه فهذا هو طريق الدعوة لدين الله تعالى.

الداعي لدين ربه سلم كل لحظات حياته لربه، ليلاً ونهاراً؛ فقد باع واشترى مع ربه وسلم المبيع للملك الديان، فلا يضن ولا يخبأ لحظة ليصرفها لغير ربه.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾

[الجن: ١٢، ١٣].

بيان لكمال قدرة الله على عباده وعلى جميع خلقه فنواصينا بيده، فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته لا ملجأ منه إلاّ إليه، وأنهم لما سمعوا آيات ربهم الهادية إلى الصراط المستقيم وعرفوا هداية القرآن وإرشاداته أثّر في قلوبهم فرغبوا في الإيمان بربهم، وقالوا إن الإيمان سبب داعي إلى كل خير وانتفاء كل شر.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل تعرفت على قدرة ربك ووقع في قلبك أن ربك قدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأن أمره نافذ في ملكه سبحانه.

ووقفت على علامة الاستماع للآيات في القلوب، وأن الهدى لا يعرف إلاّ من خلال القرآن وهو السبب الجالب لكل خير والدافع لكل شر.

ماذا بعدما عرفت أن ربك قدير؟ ما أثر هذا ا لمعلم في قلبك وسلوكك وكيف يحول إلى سلوك تطبيقي وضابط للسلوكيات؟

فاين تذهبون؟ وإلى أين الفرار؟ ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٦].

فتعلمت أن ما عند ربك لا يضيع، فأنا لا آمن لما بين يدي ، ولكن لا آمن إلاّ إذا كان عند ربي سبحانه.

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ⑦ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ⑧ ﴾ [المزمل: ١ – ٨].

الصلاة هي أشرف العبادات وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وفيه يرتل القرآن ترتيلاً، حيث يحصل التدبر والتفكر وتحريك القلب به والتعبد بتلاوته والتهيؤ والاستعداد التام له.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ نوحي إليك هذا القرآن الثقيل (العظيمة معانيه الجليلة أوصافه) والحكمة من الأمر بقيام الليل الصلاة بعد النوم أقرب إلى حصول مقصود القرآن يتواطأ عليه القلب واللسان وتقل الشواغل ويفهم ما يقول ويستقيم له أمره، أما النهار فهو لحوائج الإنسان ومعايشه.

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ الانقطاع إلى الله والإنابة إليه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل أنا من أهل الصلاة؟ إن أهل الصلاة ليعرفون بكثرة الصلاة بالليل؛ فإنهم والله لا ينامون إلاَّ قليلاً، و إن جنوبهم لتتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا من ناره وطمعًا في جنته، فكيف تجد معلم قيام الليل في قلبك؟ بل أين تجد معلم الصلاة في قلبك؟، وهل استخلصت الليل لربك فكانت كل مشاغلك بالنهار أم ضممت إلى النهار جزءاً من الليل لأن النهار لا يكفي لحاجاتك ومعاشك؟ وهل فهمت القضية التي خلق العباد من أجلها، فأين قيام الليل من خريطتك التعبدية؟

﴿ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) ﴾ [المدثر: ٣٩ - ٤٧].

ما السبب لدخول النار؟.

قالوا: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) ﴾

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

احذر من الصحبة السيئة، واحذر من التخاذل عن فعل الطاعات، واحذر من سوء ظنك بربك أن لا يكون بعث من بعد الموت. فما معلم هذه الطاعات في حياتك، وما هي مكانتها في قلبك؟ مَنْ أصحابي؟ وكيف أراهم بالمنظور الصحيح؟ وماذا أقول لربي عن صاحبي فلان وفلان؟ أهذا يصلح لأستكمل به الرحلة؟!

فتّش في صحبتك فإياك أن تصاحب غير المؤمن. يقول تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ويقول سبحانه: ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩].



﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة: ٣٦].

أتظن أيها الإنسان أن الله خلقك ثم تركك هملاً لا تؤمر ولا تُنهى ولا تثاب ولا تُعاقب.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تذكر المهمة التي خُلقنا من أجلها، وأنك مبعوث من بعد الموت، وأن الله خلقك ليأمرك وينهاك ثم يثيبك أو يعاقبك.

فهل دخل هذا الظن إلى قلبك؟ وهل تجد له معلم في قلبك؟ أتظن أنك مخلوق لتأكل وتشرب وتتنعم في الدنيا بلا أمر ولا نهي.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾

[الجاثية: ٢٤].

فعلمتني هذه الآية أن أسعى لإزالة أي ظنَّ خاطئ أو شكَّ وردَ إلى قلبي، فقلبي لا يحمل إلاَّ العقيدة الصافية، وإن قلبي ليحسن الظن بربي.



﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩)﴾ [الإنسان: ٢٩].

إن من رحمة الله علينا أن جعل الله للمؤمن تذكرة يتذكر بها وينتفع بما فيها من التخويف والترغيب؛ فلقد بيّن الله لنا الحق والهدى، وخير الناس بين الاهتداء بها والنفور عنها؛ إقامةً للحجة عليهم ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

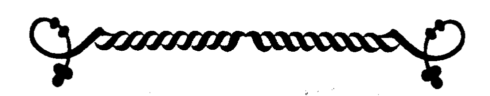
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حاجة الإنسان إلى التذكرة لتذكره بما ينتفع به؛ فالإنسان جُبِلَ على الغفلة والنسيان.

فهل أنت منتفع بالذكرى؟ أم أنك تمل من الذكرى؟

إن الانتفاع بالذكرى لعلامة على الإيمان، فقد جعل الله المؤمن هو الذي ينتفع بالذكرى، فإذا ذُكِّرَ بالله تذكر.

والإنسان يحتاج إلى مُذَكِّر، خير مُذَكّر هو واعظ الله في قلبك، فلابد من تقويته والعناية والاهتمام به، فهو المذكر الدائم الصحبة لي على طول الرحلة ولا أُفارقه ولا يفارقني.



﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٤٤﴾

[المرسلات: ٤١ – ٤٤].

هذه هي مثوبة المحسنين، إن المصدقين بآيات ربهم العاملين بكتابه وسنة رسوله ﷺ، الذين صدقوا ربهم في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، في نعيم مقيم مما يشتهون من ألوان الأطعمة والأشربة، طعام لا آفة فيه ولا عيب ولا نقص.

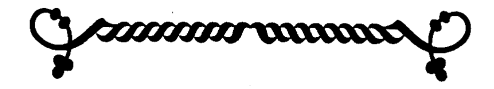
فكل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله كان له هذا الجزاء من ربه سبحانه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إن قلبي ليطير شوقًا لدار السلام، شوق الإنسان للجنة ولمتاعها وما أعده الله لأهلها؛ فإن النفس إذا اشتاقت سعت في الوصول إلى ما تشتاق إليه.

والجزاء من جنس العمل، وربك لا يضيع عنده أجر العاملين، و هذا جزاء الإحسان.

فكن محسنًا يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة.



﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٣٨ – ٤٠].

يوم القيامة يقوم جبريل عليه السلام والملائكة جميعًا خاضعين لربهم، لا يتكلم منهم أحد إلا إن أذن الملك.

فهذا حق لا مرية فيه، وشأن المصدق أنه يتقدم إلى ربه بعمل ينتفع به عند ربه في هذا اليوم، و لقد أنذركم الله بطشه في ذلك اليوم عندها ينظر الإنسان إلى ما قدم من أعمال، فإن وجد خيرًا حمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه. أما الكافر فيتمنى لو كان نسيًا منسيًا من شدة الحسرة والندم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ما معلم هذه الآية عندما ترى الملائكة قد جُمعوا وخضعوا لربهم لا يتكلمون إلاّ من بعد إذنه؟

وما معلم إنذار الله لنا في قلبك ؟ أترى الفزع في قلبك عندما تتذكر هذا اليوم الذي يكرم فيه المرء أو يهان؟

أعلمت مدى هول ذلك اليوم حيث يتمنى الكافر لو كان ترابًا من شدة الحسرة والندم، والله إنه ليوم عصيب عندما يجيء الملك الديان في ظلل من الغمام والملائكة.

فلتسعَ لتأدية الحقوق قبل أن يحال بينك وبينها فَتُؤَدَّى من حسناتك.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

الناس فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير، أما من جاوز الحد وقد تجرأ على المعاصي الكبار ولم يقف عند حدود ما أنزل الله وقدم الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها ووقته مستغرقًا في حظوظها وشهواتها ونسى الآخرة، والعمل لها فمقرّه ومسكنه إلى الجحيم.

وأما من خاف الوقوف بين يدي ربه وصد الهوى عن أخذه عن طاعة ربه وجاهد النفس والهوى في الله وجعل هواه تبعًا لما جاء به النّبيّ ﷺ، فهذا مستقره ومقره ومأواه إلى الجنة متنعمًا فيها جزاء وفاقًا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ليتفكر الإنسان في حاله إن قامت الساعة الآن فمن أي الفريقين أكون، أأكون من فريق الجنة؟ وهل قدمت في حياتي ما يؤهلني لأن أكون من هذا الفريق أم أكون من أهل الأخرى؟

مدار ذلك على ما قدمت من أعمال ومدار ذلك على صحة رؤية الإنسان للطريق فانظر إلى معلم الدنيا في قلبك.

فتعلمت من هذه الآية أن أنظر إلى صفحاتي وأقدم كشف حساب قبل أن يُقدّم إليّ، فاليوم أستطيع التعديل، أما غدًا فاقف مكتوف الأيدي.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾

[عبس: ٣٣ – ٣٧].

إذا جاءت الصيحة التي تصخ لها الأسماع وتنزعج لها الأفئدة مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال.

فيفر المرء من أعز الناس إليه وأشفقهم عليه والسبب أن كل منهم أتاه ما يشغله بنفسه عن غيره فقد انشغل، أين المفر وأين المصير؟ وما سبيل الفكاك فلم يلتفت إلى غيره؟

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فلتتأمل بشدة زوجك وولدك وأمك وأباك وأختك وأخاك، هؤلاء من ستفر منهم ويفرون منك يوم القيامة، تخيل أن كلاً منكم يحاول جاهداً أن يتخفى عن غيره، فقد أتاه ما يشغله.

قد لا يتصور العقل ذلك، ولكنه والله لهو الواقع، فلك أن تتخيل ما عظم هذا الهول الذي يجعلك تنشغل عن أحب الناس إليك فضلاً من السعي للفرار منهم.

لاشك أنه لأمر جلل، فلتصور هذا المشهد في قلبك ولتستصحب هذا المشهد ولتعد العدة، فإنه يوم تذهل فيه المرضعة عما أرضعت، بل وتضع كل ذات حمل حملها، بل وإنك لترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد أليم، فلتتقِ الله ربك، فهل استوعبت ذلك؟!.

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

وهو ما كانت تفعله الجاهلية من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب إلاَّ خشية الفقر والعار، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

كيف يحاسب الله عباده يوم القيامة، إن كانت الموءودة التي قُتلت بلا ذنب ستسأل يوم القيامة عن الذنب الذي فعلته الذي بسببه قتلت فما بال سؤال القاتل؟

لتتصور كيف يكون الحساب يوم القيامة، إن كان الصغير الذي لا ذنب له سيسأل فكيف بحال من أغرق في الذنوب والمعاصي.

فلتدقق في حالك وفي شأنك فما ربك بغافل عما تعملون.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].



﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

هذا عتاب من الله للإنسان المقصر في حق ربه تعالى المتجرئ على معصيته.

أتهاونًا منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

أليس هو الله الذي خلقك في أحسن تقويم؟ أليس هو خالقك الذي ركبك تركيبًا قويمًا معتدلاً في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات؟

فهل يليق بك أن تكفر بنعمة المنعم أو تجحد إحسان المحسن؟

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فيا أيها الإنسان، هل نظرت يومًا في هيئتك التي خلقك الله عليها لتحمد ربك أن خلقك في أحسن تقويم؟ فما حالك لو كان أنفك على غير هذه الصورة فكانت كخرطوم الفيل؟ ولو كانت أذنيك كأذن الحمار؟!، ولو عينيك ركبت في قفاك؟ ولو كانت أرجلك وأيديك تحولت إلى أربع كحال القرود والكلاب؟

تدبر نعم الله عليك في خلقك لتستمر في شكر ربك أن خلقك في أحسن تقويم، ولو وكل الأمر إلى نفسك ما استطعت أن تختار لنفسك صورة أفضل من هذه الصورة التي خلقك الله عليها.

فتعرفت من خلال هذه الآية نعمة الله عليَّ أن خلقني على هذه الصورة والهيئة فما من صباح أو مساء إلاَّ وأنا أشكر ربي على هذه الهيئة التي خلقني عليها فإنها تستحق دوام الشكر ومزيد من الطاعات والقربات.



﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فمن ران على قلبه كسبه وغطته معاصيه؛ فإنه محجوب عن الحق، يحرم من النظر إلى ربه تعالى، فكما حجب قلبه ونفسه عن آيات ربه، فلا يستحق أن يكون من المستمتعين بالنظر إلى وجه الله الكريم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

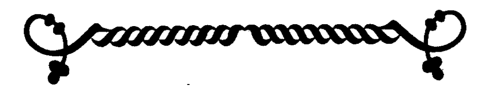
هل أنت في شوق فعلاً إلى النظر إلى وجه ربك الذي تعبده؟

وهل لو حُرمت من النظر إلى وجه ربك الكريم لكان ذلك عذابًا بالنسبة لك؟.

هل تستشعر فعلاً مدى ذلك الحرمات لمن حرم النظر إلى وجه الله الكريم؟

وهل تأهلت فعلاً لتكون أهلاً للنظر إلى وجه ربك سبحانه؟

وهل هي أمنية؟ أم أنك تسعى فعلاً لتحقيقها وواقع حياتك ينبأ بذلك؟



﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ⟨٢٠⟩ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ⟨٢١⟩ ﴾
[الانشقاق: ٢٠، ٢١].

إن أكثر الناس لا يؤمنون، ولا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل أنت تتجاوز آيات ربك إذا تُليت عليك؟

أأنت من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا؟

أأنت ممن إذا ذكر الله وجل قلبه، وإذا تليت عليه آيات الرحمن خر سجداً وبكيًا وزادتك إيمانًا إلى إيمانك؟

أترى أن أقوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك خاضعة لربك، منقادة لأحكامه ولأوامره ونواهيه.

فأين مكانة القرآن في قلبك؟ وأين مكانك أنت من القرآن؟.



﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢].

احذر من بطش ربك؛ فإن بطشه شديد أليم وربك للظالمين لبالمرصاد.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

احذر من غضب الجبار.

أتخشى فعلاً من عذاب ربك، وهل ترى في قلبك خوفًا مما أعد الله للمجرمين؟ فما ظنك برب العالمين؟

أتخشى من انتقام ربك؟ أتقدر مدى هذا العذاب؟

رحماك رحماك ربي.



﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

إن المكذبين لربهم والمكذبين لرسوله ﷺ ليدفعون بكيدهم الحق ويؤيدون الباطل.

وربك يكيدهم لإظهار الحق ولدفع ما جاءوا به من الباطل.

وغداً سيعملون عاقبة أمرهم حين ينزل بهم العقاب.

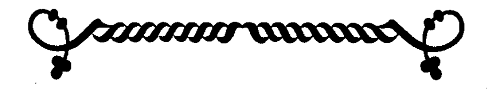
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إياك والاغترار بحلم ربك عليك.

لا تأمن مكر الله؛ فالعاقبة مطوية، وإياك أن تكون ممن يكيد للإسلام، فربك بالمرصاد.

ولتنتبه فإن المكر السيء لا يحيق إلاَّ بأهله.

احذر أن تكون ممن يدفع هذا الحق الذي جاء به الرسول الكريم بالباطل؛ فإن الباطل كان زهوقًا.



﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾

[الأعلى: ١٦، ١٧].

إنكم لتقدمون الدنيا على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة، والآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب وأبقى؛ لكونها دار خلد وبقاء والدنيا دار فناء.

والمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود ولا يبغي لذة ساعة بترحة الأبد.

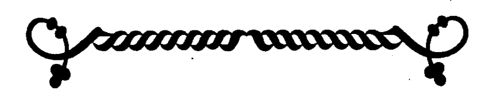
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل أنت ممن يؤثر الدنيا على الآخرة؟

ما شأنك إذا تعارض أمر من أمور الدنيا مع أمر من أمور الآخرة، فأي الأمرين تُقدّم؟

إن كنت ممن يقدم الدنيا فلتسارع لتعديل الميزان؛ فالآخرة هي الباقية، والدنيا هي الزائلة، فلا تُقدّم الزائل الفاني على الباقي الدائم.

يا نفس أتزهدين في الآخرة؟ أتُقدمين الزائل على الباقي؟ أتقدمين الفاني على الدائم؟ ما لك وفساد الأذواق؟!



﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾

[الغاشية: ١٧ - ٢٠].

فليتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده، فهذه الإبل وخلقها البديع وكيف سخرها الله للعباد وذللها لمنافعهم الكثيرة، وهذه الجبال بهيئتها الباهرة التي يحصل بسببها استقرار الأرض وثباتها من الاضطراب، فلا تميل بنا.

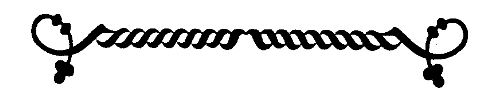
وهذه الأرض كيف سطحت ومدت وسهلت غاية التسهيل؛ ليستقر العباد على ظهرها ويتمكنوا من تحصيل سبل العيش على ظهرها من حرث وزرع وبنيان.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التفكر في آيات الله الدالة على توحيده وعلى ربوبيته من العبوديات المفقودة، فهل تعلمت كيف تتعبد لربك بالتفكر في خلقه ومخلوقاته؟

هل تعلم وسائل هذه العبادة؟

فلنقتطع من أوقاتنا ما نعمره بهذه العبادة، وينبغي أن أتعلم كيف أتدبر وأتأمل هذه الآيات، الدالة على قدرة الخالق وعظمته وقوته وعزته.



﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) ﴾

[الفجر: ١٥، ١٦].

يُخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو وأنه جاهل ظالم لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنفاقه عليه يدل على كرامته وقربه منه.

فإذا ضيّق الله حاله ظنّ أن هذا إهانة من الله له، فردّ الله عليه ذلك الحسبان، وقال: ﴿ كَلاَّ ﴾ أي ليس كل من نعّمته في الدنيا فهو كريم عليّ، ولا من قدرت عليه رزقه فهو مهان لديّ. فالغنى والفقر والسعة والضيق ابتلاء من الله تعالى، وامتحان يمتحن به العباد ليرى من يقوم بالشكر والصبر فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ومن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الوزن على ما عند الله ولابد من التسليم لربك ولشرعه؛ فالعواقب يجهلها الإنسان، والأمر يحتاج إلى مزيد من معرفة الله ومعرفة سنن ربك تعالى، وما هي حسابات الدنيا لديك، أتظن أن كرامة الله لعبده أو إهانته موقوفة على ما يعطيه من أمر الدنيا؟ فاحذر من هذا الظن الفاسد.

ينبغي أن نصحح المعايير والأسس التي نزن بها الأمور، إنها والله لمعايير وثوابت لا سبيل لمعرفتها إلا من كتاب ربك.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦﴾

[البلد: ٤ - ٧].

إن الإنسان ينبغي أن يسعى في عمل يريحه مما كتب الله عليه من هذه الشدائد والأهوال التي يمر بها ويقاسيها في الدنيا والبرزخ ويوم يقوم الأشهاد، وإن لم يفعل ظل في كبد مستمر مستديم.

والإنسان بدأبه عنده طغيان وبغي وعتو ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه ويباهي ويقول: أهلكت مالاً لبدًا، وهذه نفقات تعود عليه بالحسرة والندامة لما أنفقها على ملذاته وشهواته، ويظن أنه على شيء.

فلقد توعده الله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فهذا ظنه الفاسد، أما يعلم بأن الله يرى، وأنه سبحانه يحفظ عليه أعماله ويجازيه عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وما ربك بظلام للعبيد.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

احذر الطغيان، لا يكن همك ملذاتك وشهواتك، وإيّاك والاستطالة على خلق الله والتفاخر والتعاظم عليهم، فربك بصير. إيّاك والغفلة أن ربك يراك على كل أحوالك وسيحاسبك على كل صغيرة وكبيرة.

فراقب ربك في خواطرك، فربّك لا يخفى عليه خافية، وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

فالله خلق الإنسان وخلق سبحانه نفس الإنسان وهي محل التأثر والانفعالات النفسيُة من الهمّ والإرادة والقصد والحب والبغض فهي سريعة التغير.

والفلاح لمن طهرها من الذنوب ونقاها من العيوب والآفات ورقاها بطاعة الله تعالى، وعلاّها بالعلم النافع والعمل الصالح.

والخيبة والخسران على من دنسها بالرذائل وترك ما يكملها وينميها واستعمال ما يشينها ويدنسها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

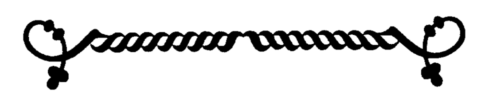
فهذه الآية تقول لي:

هل وقفت على عيوب نفسك وآفاتها؟

هل وضعت خطة محكمة في كيفية معالجة هذه العيوب والآفات؟

ما هو سبيلك لتطهير هذه النفس التي بين جنبيك وكيف تجافيها عن المعاصي والموبقات؟

فسبيل الإنسان لتطهير النفس هو تزكيتها بالإيمان والأعمال الصالحة.



﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل : ٥ – ١٠].

لقد فضّل الله العاملين ووصف أعمالهم، فمن قام بأداء ما افترض الله عليه من العبادات بأنواعها، واجتنب ما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، وصدق في إيمانه فسيُيسّر الله عليه أمره.

وأما من قعد عن أداء ما افترض الله عليه من العبادات ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، واستغنى عن ربه، فترك عبوديته جانبًا ولم يرَ نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، وكذب بما أوجب الله عليه، فهذا سييسر لعمل الشر.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلق له، أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار، فلتسدد ولتقارب ولتجتهد ولتسلك طريق السعادة.

فعلمت أن طريق الجنة يحتاج إلى مواصلة العمل ومواصلة الليل بالنهار في الأعمال، فلا وقت للراحة أو النوم؛ فإنما الراحة عندما أطأ بأقدامي الجنة، فقمت ليلاً من فراشي، ومن لين مضجعي، أقف بين يدي الملك الديّان أسأله الجنة وأستعيذ به من النيران، كيف أرقد والنار تطلبني، وكيف أرقد والجنة قد ازّينت، فعلمت أنه لا وقت للراحة ولا للنوم، فهذا وقت الجد والاجتهاد ولا راحة إلاّ في الجنة بإذن الله.



﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ⑦ ﴾ [الضحى : ٧].

ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلَّمَك ما لم تكن تعلم ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إياك يا نفس أن تنفكي عن رؤية نعمة الله عليك عندما هداك من غير حول منك ولا قوة؛ فنعمة الهداية إلى الطريق وإلى الطاعات والقربات.

كيف لك أن تتعرف على هذا الطريق لولا هذا النور الذي أنزل الله إلينا؟

كيف لك أن تعرف ما الإيمان؟

كيف لك أن تعرف ما السُّنَّة؟

كيف لك أن تعرف طريق ربك المستقيم؟

كيف لو نزعت عنك الهداية، وضللت كما ضلَّ كثير من الخلائق؟

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

فإياك يا نفس أن تنفكي عن رؤية نعمة الله عليك عندما هداك من غير حول منك ولا قوة، وكيف بك لو نزعت عنك الهداية فضللت كما ضلت كثير من الخلائق.

فما كان إلاَّ أن نواصل الطاعات ليلاً ونهاراً، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك.

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح: ٥، ٦].

هذه بشارة عظيمة أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، فلتعلم أن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً.

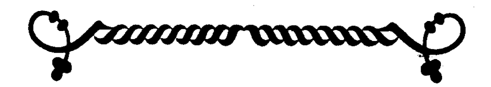
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

رؤية السنن الكونية، اعلم السنن وأنه لن يغلب عسر يسيرين، وأن الفرج ياتي مع الكرب ، وأن النصر ياتي مع الصبر وأن مع العسر يسراً.

فإياك أن تقنط من رحمة ربك.

فعليك أن تقرأ السنن قراءة واعية وتتعرف على سنن ربك؛ لتكون أبعد ما يكون من الهزيمة النفسية.

إن معي ربي سيهدين، اللهم فرج كربي، واجمع شملي ووفقني لما تحب وترضى.



﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين : ٥] .

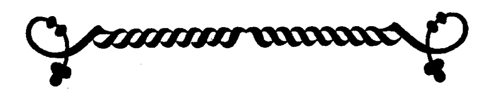
إن نعم الله على عبده عظيمة، وكان ينبغي على الإنسان أن يقوم بشكرها، ولكن أكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمر، وسفاسف الأخلاق.

فردهم الله في أسفل النار مع المتمردين على ربهم وعلى أوامره.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

إياك وإنكار نعم الله عليك أو الكفر بها، وإياك والتقصير في شكر نعم ربك، فلا تنشغل بعطايا ربك عن المعطي الوهاب، فهذه علامة الشقاء.

فاحذر ربك على نفسك، وإيّاك وأن تُسْتدرج من هذه الجهة.



﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ٤، ٥].

فالله تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئًا وجعل له أدوات العلم والفهم من السمع والبصر والفؤاد ويسّر الله له أسباب العلم.

فعلّمه القرآن وعلمه الحكمة وعلمه بالقلم الذي به تحفظ العلوم وتُضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

من نعم الله علينا نعمة القراءة والكتابة، فلقد يسر الله لنا أسباب العلم ومكن الله لنا أن نخفظ هذا العلم عن طريق الكتابة، كما به تحفظ الحقوق ويحفظ ذلك الدين، ولولا تقييد العلماء لهذا العلم لرقى الزنادقة على المنابر وتكلموا في دين الله بغير علم، فضلوا وأضلوا.

فإذا أمسكت بالقلم فلتستشعر بنعمة الله عليك،وتقول سبحان من جعلنا نمسك بالقلم ونكتب ونسطر به الدين والعلوم والحقوق.

فلتشكر ربك على نعمته.

إنها لنعمة أراها دومًا عندما أتصفح في كتاب ربي.

ماذا لو نزعت منا تلك النعمة؟ فانظر عندها إلى كلام ربي ولكن لا سبيل لقراءته.



﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [القدر: ٣].

هذه ليلة تعادل في فضلها ألف شهر؛ فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر، وهذا من منّ الله على عباده.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

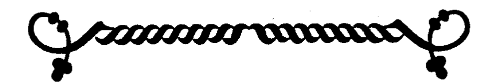
تتبع الأزمنة الفاضلة والأمكنة الفاضلة وتعميرها بمزيد من الطاعات واقتناص هذه المواسم فإنهم منح الرب إلى عباده.

فهل سطرت في مفكرتك الأزمنة الفاضلة على طول العام؟

وهل سطرت في مفكرتك الأماكن الفاضلة التي تمر عليها في عامك؟

وهل سطرت خطتك في تعمير هذه اللحظات؟ وهل استعددت لها؟

فقلت لنفسي إياك أن يفوتك موسم الطاعات، فوطّنت نفسي كيف أتربص لهذه الليلة، فإنها والله لتستحق أن أكون مستيقظًا طيلة عمري؛ لكي أدرك هذه الليلة، فإنه والله لهو الفوز العظيم.





﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ ﴾ [البينة: ٥].

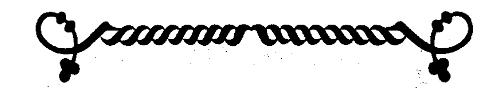
العباد ينبغي أن يقصدوا بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، مخلصين هذا الدين لربهم يقومون بما افترض الله عليهم من صلاة وزكاة.

وهذا التوحيد والإخلاص في الدين هو الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تجريد الدين وإخلاصه لله تعالى، ومواصلة الطاعات والعبادات، وهذا هو دين الاستقامة.

فأنا عبدٌ عند مولاي وسيدي، أواصل الليل والنهار بالعمل الدائب المستمر غير المنقطع، فنظرت في قلبي لأزيل عنه أي عائق من عوائق تجريد العمل لله، وواصلت ذلك بالاستدامة على الطاعات، خاصة الصلاة التي هي امتداد العلاقة مع ربي، وإنفاق المال الذي هو إحسان للخلق.





﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الزلزلة : ٤] .

عندما تشهد الأرض على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فالأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة :

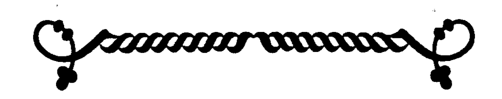
لو نطقت الأرض الآن أتشهد لك أم عليك؟

ما هي معالم أقدامك على ظهر هذه الأرض؟

فالأرض تحفظ أثارك عليها

وهل ترى أن الأرض ستبكي لفقدك؟

فتعلمت أن كل خطوة أخطو بها على ظهر الأرض قبل أن أضعها على الأرض لأفكر مليًا، لو نطقت الأرض الآن أتحمد خطايا هذه أم أنها تتأذى بأثار قدمي، فإنها لتفرح بأقدام العبد عند مشيه للصلاة وفي حاجة أخيه وفي الجهاد في سبيل الله والدعوة لدين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتعلمت أن يكون المزيد من هذه الخطوات، وأن أصحح علاقتي بهذه الأرض التي أطؤها بأقدامي .



﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ [العاديات : ٦] .

طبيعة الإنسان وجبلته أنه منوع للخير الذي لله عليه، فنفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فيؤديها كاملة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها من الحقوق المالية والبدنية إلاّ من هداه الله، وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق .

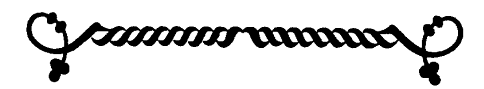
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة :

هل لمست من نفسك هذا الداء؟

وهل تعرفت على الدواء الدافع لهذا الداء؟

وهل وقفت على طبيعة نفسك أهي تدفعك إلى الكسل والمنع أم تحثك على فعل الخيرات؟

فلا وقت للمراوغة، فيا نفس توبي إلى ربك، وافعلي الخير لعلكي ترحمي .



﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) ﴾

[القارعة: ١ - ٣].

القارعة اسم من أسماء يوم القيامة سميت بذلك؛ لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها.

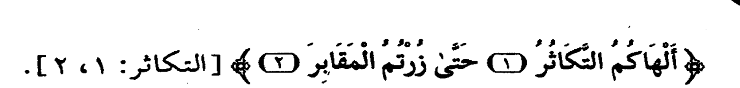
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ما هو معلم يوم القيامة في قلبك؟ وهل وقفت على حقيقة أسمائها؟ .

وهل احتل كل اسم من أسمائها مكانه في قلبك، فدفعك ذلك إلى مزيد من العمل الدائم الدائب بلا انقطاع أو كسل أو خمول.

اللهم ثبت أقدامنا ولا تجعلها تزل بعد ثبوتها ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، اللهم سلم سلم.





﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴾ [التكاثر: ١، ٢].

يقول سبحانه موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه وتقديم محبته على كل شيء.

فهذه الغفلة قد استمرت وتشاغلتم بها وألهتكم، حتى انكشف الغطاء، ولكن حيث لا ينفع العذر.

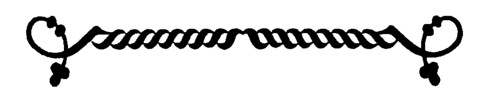
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل أنت من المسوفين؟

هل أنت ممن انشغل بماله وولده وزوجه عن طلب الآخرة؟

أما فكرت يومًا ماذا بك لو حُملت على الأعناق لتوارى في التراب؟ هل فكرت في هذا المشهد وأنت محمول على أعناق الرجال يسارعون في خطاهم ليودعوك ويوسدوك التراب، ويتركوك تلقى ما ينتظرك في هذا المكان الموحش المظلم.

فإن كان من انشغال فلتنشغلي يا نفسي بطلب الآخرة وطلب الدرجات؛ فالدنيا إلى فوات، فلا تنشغلي بالزائل عن الباقي الدائم الذي لا ينقطع فغداً سيحول بينك وبين ما تشتهين.



﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

أقسم الله بالعصر وهو الزمن حيث أنه محل أفعال العباد وأعمالهم وبين الله تعالى أن كل إنسان خاسر إلاّ من كان متصفًا بخلالٍ أربع:

إيمان وعمل صالح ودعوة إلى الحق، والتواصي بالصبر على طاعة الله وعلى وعورة الطريق.

ولا سبيل لكي يسلم العبد من الخسارة إلاّ باشتماله على هذه الصفات الأربع.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا سلامة ولا نجاة من الخسران في الدنيا والآخرة إلاّ بسعي الإنسان الأكيد للاشتمال على هذه الصفات الأربع، إيمان صحيح ممزوج بعمل على منهاج النبوة، ثم يقوم بمهمته ومسؤليته اتجاه هذا الدين من دعوة الخلق إلى هذا الحق الذي يعتقده.

والصبر على طاعة الله وعلى طول الطريق حيث أن المطلوب المواظبة والملازمة للطريق حتى النهاية.

فهل رأيت هذه المقومات في شخصيتك، فلتسارع في الاستكمال قبل انقضاء الأجل، فإنه لا ينتظر.

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة: ١].

وعيد ووبال وعذاب أليم شديد للذي يهمز الناس بفعله ويلمزهم بقوله، فهذا الهماز هو الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز هو الذي يصيب الناس ويطعن عليهم بالقول.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

خلال قبيحة لابد من التخلص منها وعلاجها؛ فلتنشغل بنفسك، وإياك والتنقص من غيرك ولا تنصت لداعي الهوى وداعي النفس الأمارة بالسوء.

فكما أن القول محسوب عليك كذلك الإشارة محفوظة عليك.

فإياك أن يكون لغيرك عندك حقاً.

فتعلمتُ أن لا تعلق حقوق الناس ببدني، بل تعلمت كيف أسعى للسداد في الدنيا قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، ولكن حسنات وسيئات، فكان لابد من التحلل من هذه الحقوق، ولأحفظ كلامي وفعلي، بل وإشاراتي وحركاتي، فإنها والله لمحسوبة عليّ.



﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

انظر إلى قدرة الله وعظيم شأنه فيما فعل سبحانه بأصحاب الفيل الذين أرادوا تخريب بيته الحرام، فلما جاءوا بفيل عظيم بغية هدم ذلك البيت، أرسل الله إليهم جنداً من جنده متمثلاً في طير تحمل كل منها حجارة محماة من سجيل فرمتهم بها، فصاروا جميعًا كعصف مأكول، فكفى الله شرهم ورد كيدهم في نحورهم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ربك قدير، انظر كيف يدافع ربك عن أوليائه، فلتعتبر كيف دافع الله عن بيته المحرم، فما ظنك بربك في دفاعه عن أوليائه وعن حملة دينه؟

وما يعلم جنود ربك إلاَّ هو، وإن ربك لبالمرصاد للمعاندين المكذبين، وأن الكيد والمكر يرد على أهله فيهلكهم.

فلتحسن الظن بربك وأنه سبحانه لا يسلم أولياءه لأعدائه، وأن العاقبة للمتقين.

فاحذر من الكيد والمكر، فإنه يرد على أهله في نحورهم.

فلتتذل لربك ولتخضع ولتنكسر بين يدي ربك، فكن خاشعًا متواضعًا متمسكنًا ذليلاً منقادًا لربك ، فربك قدير.

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٤] .

فرغد الرزق والأمن من الخوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] .

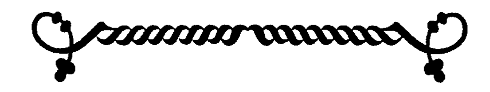
وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٩] .

علامة الآية في طريقي في الحياة :

من كان رزقه على ربه فلا يخشى فوات؛ فالله يرزق الإنسان ابتداءً من غير حول من الإنسان ولا قوة .

والأمن نعمة يسعى الإنسان إلى الحصول عليها ولا سبيل لها إلا بالإيمان والتقوى .



﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾
[الماعون: ٤، ٥].

الويل لمن كان ملتزمًا بطاعة، ولكنه مضيع لها بإخراجها عن وقتها أو يخل بأركانها، وهذا مظهر لعدم اهتمامهم بأمر الله، حيث ضيعوا الصلاة التي هي أهم الطاعات.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الحذر من الإخلال في أداء الطاعة سواء أن يخل في أركانها أو أن يكون مضيعًا لوقتها، وليس العبرة بإتمام الطاعة، ولكن تجويدها وإتمامها بصورة صحيحة.

وعدم الاغترار بأنه ممن يفعل الطاعة، ولكن قد يستحق الذم واللوم إذا كان مضيعًا لحد من حدودها.

فاحذر من الاغترار بالطاعة فقد تكون سبب مهلكة الإنسان.

فتعلمت أنه لابد من تجديد وتحسين العبادات خاصة الصلاة مع النظر الدائم والتدقيق الشامل في كيفية أدائها فلا أضيع شروطها أو أركانها أو واجباتها أو سننها مع الانتباه إلى تأديتها في وقتها.



﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢].

من أفضل وأجل القربات والطاعات إلى الله الصلاة والذبح، ففي النحر عبادة مالية فيها تزكية النفس عن الشح وتعظيم لشعائر الله.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعظيم شعائر الله تعالى، وسعي الإنسان إلى تعظيم ما عظم الله تعالى خاصة الصلاة، وإراقة الدماء لله.

فما رصيد هذه العبادات وما معلمها في قلبك؟

إن من أفضل العبادات الذبح وإراقة الدماء لله تعالى، فما هي موقع هذه العبادة منك واعلم أن ربك لا ينتفع بلحمها ولا بعصبها ولا بجلدها ولا بعظمها، ولكن نفع ذلك لك يا نفس.



﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) ﴾ [الكافرون: ١ - ٣].

الإعلان والجهر والتبرؤ من الكافرين صراحة بلا مواراة، وإعلان البراءة مما يعبدون من آلهتهم المزعومة الباطلة البراءة الظاهرة والباطنة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الحذر من تمييع قضية الدين خاصة الولاء والبراء وإعلان البراءة صراحة بلا مواراة من الكفار، وأنه لا سبيل للقاء إلاّ أن يعبدوا الله وحده.



﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

[النصر: ١ - ٣].

ففي الآية بشارة بنصر الله وتمكين لدينه وفتح قلوب الناس لهذا الدين فينقلبوا من أعدائه إلى أنصاره.

كيف نقابل هذه البشارة؟

بالتسبيح والتهليل والتحميد وملازمة الاستغفار والتوبة والإنابة لنضمن استمرارية النصر والتمكين.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

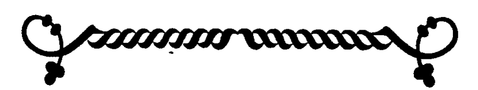
ملازمة الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله وعدم السآمة من ذكر الله وتسبيحه وتهليله، وهي السبيل لاستدامة النعم، فلا شكر لها إلا بذلك.

فقلت عندها لنفسي.

كم مرة أستغفر ربي وأتوب إليه في اليوم.

فما هو برنامج الاستغفار وما جدوله لكي أنتظم في هذه العبادات.

فلا سبيل للقيام بذلك إلاّ من خلال جدولة هذه العبادة، أحدد عدد المرات وأحدد كيفية أداء هذه العبادة، وكيف أقوم بتقسيمها على مدار اليوم.

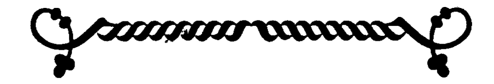


﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ [المسد : ٢].

فالمال لا يغني من عذاب الله شيئًا إن كان هو سبب الطغيان.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة :

احذر من الطغيان المالي فقد ينسيك ذكر ربك، فتتلهى بمالك وبتكثيره، فتنسى وتغفل عن لقاء ربك، فإذا تطايرت الكتب وكنت ممن يتلقف كتابه بشماله، فعندها تكون الحسرة والندامة، ويعلن الإنسان عندها ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية.



﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

الله أحد في ذاته وفي أفعاله وفي ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو سبحانه تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومسائلها وهو الغني سبحانه بذاته عن جميع خلقه والله تعالى منزه عن الصاحبة والولد ومُنزّه سبحانه أن يكون له مثيل أو نظير أو شبيه أو ند أو ضد.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذا ربي الذي أعبده أحد سبحانه في ذاته وصفاته وأسمائه وألوهيته وربوبيته لا ضد له ولا ند له، ولا مثيل ولا نظير ولا شبيه له، ولم يتخذ ولداً، ولم تكن له صاحبة، ولم يكن له وليّ من الذل.

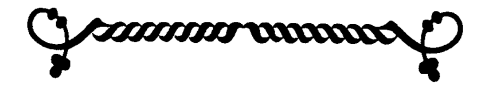
فهو سبحانه أحد متفرد بالكمال.

الشعور بالعزة والفخر أن هذا وصف ربي الذي أعبده، فله صفات الكمال والجلال والجمال.

فالحمد لله أن ربي لم يتخذ ولداً.

والحمد لله أن ربي لم يكن له شريك في ملكه.

والحمد لله أن ربي لم يكن وليٌّ من الذلّ.



﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق: ١ – ٥].

اللهم لا منجا ولا ملجأ إلاّ إليك، ولا عصمة إلاّ لمن عصمه الله تعالى، والإنسان يستعيذ بربه من جميع أنواع الشرور من حسد الحاسدين وحقد الحاقدين وسحر السحرة، ومن شر هذه الشرور التي تنتشر مع الليل من حيوانات مؤذية أو غيرها.

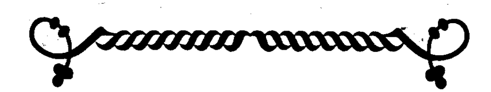
علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علمتني هذه الآية أن القلب لا يتعلق إلاّ بالله الذي بيده دفع الشرور عمن لجأ إليه وامتنع به.

وعلامة وجود معلم هذه الآية في قلبك أن تواظب على أن تستعيذ بربك برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته وتعوذ بربك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وتعوذ بربك من فتنة المأثم والمغرم ومن البخل والجبن ومن العجز والكسل.

وتستعيذ بربك من فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وتستعيذ من الهم والحزن.

فلا تغفل ولا تفتر عن اللجوء الدائم لربك، فلا عاصم من أمره إلاّ من رحم.



﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ [الناس: ١ - ٦].

اعتراف الإنسان الدائم بأن ربي الذي أعبده هو رب العالمين وهو الملك وهو الإله المعبود، فأستعيذ به سبحانه من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، الذي يوسوس في صدور الناس فيحسن لهم الشر ويزين لهم حتى يرده في صورة حسنة وينشطهم ويدفعهم إلى فعله، وفي المقابل يثبطهم عن الخير وعن فعله والاستعاذة بالله من شياطين الإنس وشياطين الجن.

فلتستعن ولتستعذ ولتعتصم بربك، فالكل داخل في ربوبيته وملكه وتحت تصرفه وقهره، فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

علامة هذه الآية في طريقه في الحياة :

التطبيق العملي لإياك نعبد وإياك نستعين.

فقلبي ولساني لا يفتران عن قول إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، وإنّ لسان مقالي ولسان حالي لشاهدان بذلك.



فهرس

